لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

موعظة المؤمنين

من

إحياء علوم الدين

﴿ تأليف العلامة المفضال الشيخ محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ﴾

(تنبيه) لايخفى أن ترقية الوعظ الدينى من أهم المسائل الشاغلة لأفكار الباحثين فى شؤن المسلمين اليوم ومن أجل أسبابها مسألة الكتب المفيدة الجيدة ولما رأى حضرة المؤلف المذكور أن اختصار الاحياء من أحسن الوسائل الجليلة النفع فى هذا الباب قام بذلك ـ واذ رآنا شغفين بنشر الكتب النافعة الاسلامية أهدانا ذلك الكتاب المنسوخ بخطه وأذن لنا فى نشره ونحن رغبة فى الخدمات الاسلامية رأينا من الواجبات المقدسة القيام بنشره وها هو قد ظهر فى عالم المطبوعات محلّى بأحسن الحلل فنرجو من الحق جلّ اسمه أن يكمل به النفع

﴿ الجزء الاول ﴾

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٣١ هـ ﴾

على نفقة البحّاثه المنقّب عن الاسفار النافعه الشيخ محيى الدين صبرى الكردى

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

تقدمة

الى مكتبة الجامعة الاميركانية في بيروت

من

الطلبة المسلمين فيها

في ٢٧ شباط سنة ١٩٢٢

موعظة المؤمنين

بدون

من

إحياء علوم الدين

﴿ تأليف العلامة المفضال الشيخ محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ﴾

(تنبيه) لايخفى أن ترقية الوعظ الدينى من أهم المسائل الشاغلة لأفكار الباحثين فى شؤن المسلمين اليوم ومن أجل أسبابها مسألة الكتب المفيدة الجيدة ولما رأى حضرة المؤلف المذكور أن اختصار الاحياء من أحسن الوسائل الجليلة النفع فى هذا الباب قام بذلك ـ واذ رآنا شغفين بنشر الكتب النافعة الاسلامية أهدانا ذلك الكتاب المنسوخ بخطه وأذن لنا فى نشره ونحن رغبة فى الخدمات الاسلامية رأينا من الواجبات المقدسة القيام بنشره وها هو قد ظهر فى عالم المطبوعات محلّى بأحسن الحلل فنرجو من الحق جلّ اسمه أن يكمل به النفع

الجزء الاول

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٣١ هـ ﴾

على نفقة البحّاثة المنقّب عن الاسفار النافعه الشيخ محيي الدين صبرى الكردى

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا ذا الجلال والاكرام . على ما أكملت لنا من دين الاسلام ونصلّى ونسلم على نبيّ الهدى والرحمة . المبعوث بالكتاب والحكمة . خاتم النبيين . وإمام المرشدين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين

﴿ أمّا بعد ﴾ فان موعظة العامّة . والتصدّى لارشادهم فى الدروس العامّة . من الأمور المهمة . المنوطة بخاصة الأمة . إذ هم أمناء الشرع ونور سراجه . ومصابيح علومه وحفاظ سياجه . وكان السلف يملون مما وقر فى صدورهم . ما يرونه أمسّ بحالهم وزمنهم ومكانهم . ولما امتدّ الفتوح فى الاسلام . ابتدئ بجمع الهدى النبوىّ للأنام . ثم اتسع العمران وعظمت الحضارة . فأخذ ينمو التفريع والتخريج والانبساط فى الفنون على نسبتها فى الغزارة . واستبحرت فى فنون العلم الأسفار . ودنت لمقتطفه مباحثه الكبار وصار المعوّل فى بثه عليها . والملجأ فى تعرف حقائقه عليها . وتنوّعت فى كل فنّ مصنفاته . وزخرت من كل بحث مؤلفاته . حتى حار طالبه فى انتقاء الأحسن . واستوقف كثرتها نظره فى تخيّر الأتقن . وأصبح التبصر فى أجودها عنوان الذكاء . والوقوف على أنفعها آية النباهة والارتقاء . ولما كانت

عظة العوام . بايقـافهم على جواهر دين الاسلام . وإعلامهم محاسن الدين وواجباته . ونوافله ومحظوراته . وما يأمر به من الأخلاق الكريمة . ويزجر عنه من المساوئ الذميمة . ليرتقوا الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم . فيفوزوا بما في الاعتصام به سعادتهم وفلاحهم . من أوجب الواجبات . وآكد المفروضات . لما أخذ الله على العلماء من الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فيقف المدعوُّون على شرائعه تعالى فيما أمر وزجر ووعد وأوعد وبشّر وأنذر . فلزم الداعى الى الله تعالى أن يجتهد بفطنته لما يعينه في دعوته . فينتخب من المدوّنات أنفعها . وينتقى من لباب لبابها أرفعها . اذ كثير مما اعتيد في المحافل تدريسه . لم يكن على بناء إفادة العامّة تأسيسه . ولا برهان . بعد عيان *

موضوع ذكرى العامّة موضوع جليل . لا يصلح له الا كل حكيم نبيل . أتدرى من المذكر . أو الواعظ . أو المرشد . هو انسان حافظ لحدود الله . قائم على إرشاد العقول . وتهذيب النفوس . وتثقيف الأذهان . وتنوير المدارك . وتصحيح المعتقدات . وإبانة سرّ العبادات . وإماطة ما غشى الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة . وتراث الضلالة *

المذكر وارث محمدىّ . واقف على مقاصد التشريع وحكمته . عالم مواضع الخلاف والوفاق . سائس لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام . لا يصعد بهم قمم الشدّة والتعسير . ولا يهبط بهم الى حضيض الترخيص غلوّا في التيسير بل يسير بهم على جادّة الحقّ وسواء الطريق *

المذكر ينشر العلم النافع بين الناس . ويحثهم على العمل به . ويخاطبهم على قدر عقولهم . ويتنزّل لارشادهم الى لغتهم . يعاشرهم بالنصح . ويخالطهم لتأليف قلوبهم *

المذكر هو العامل الأكبر في إخراج النـاس من ظلمات الجهالة الى نور العلم . وتحريرهم من رقّ الخرافات والوهم . وهو كالسراج فاذا لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده . وحقّ ما قيل « لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه فى قومه » اذ ليس مسئولا عن نفسه وحدها بل عنها وعن عشيرته وأمته فمن الواجب عليه أن يعلّم ويعظ ويبلّغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الجملة فالمذكر لا بد أن يكون كاملا فى علمه . كاملا في تعليمه . كاملا فى إرشاده . كاملا في أخلاقه *

وغير خاف أن مذكر العامّة على قوّة ملـكته . وسعة مداركه . يضطر الى مادّة تعينه على ذكراه . وتمدّ ذاكرته اذا أمّ مبتغاه . ولـكن أين تلك المادّة الممدّة . فانى لم أرَ بين المصنفات على كثرتها ما ألف لذكرى العامّة مستوفياً للشروط التـامّة . بأن يفقهوا معنـاه . ويدركوا منطوقه ومغزاه ويكون وافياً بحاجياتهم . آتياً على جميع كمالياتهم . مجرّداً عن دقائق المسائل قريب الأخذ للمتناول . فيستعين به المذكر . ويهتـدى به المستبصر . ولم أزل أترقب من نفحات التوفيق ما يهدّئ البال . الى أن رأيت بعد مابلوت فى عامّ التدريس . كل كتاب نفيس . الأعوام الطوال . أنّ من أنفع مايقتبس منه عظة المؤمنين . مواضيع تنتخب (من إحياء علوم الدين) للعلاّمة الامام

حجة الاسلام . أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى عليه الرحمة والرضوان . ثم اتفق أن تذاكرت مع حكيم إمام[1] . واستطلعت رأيه الصائب فى هذا المرام . فقال متأسفاً « إن هذا الموضوع لم يصنف فيه إلا ان أحسن ما لدينا لذلك هو الاحياء بعد تجريده » فعددت ذلك من بدائع الموافقات وأتذكر الآن ان أحد الأعلام فى دمشق أشار على من استشاره من المدرسين بالاحياء . فأخذ المدرس فى قراءته بالحرف . عملا بالأمر الصرف . ثم شكى له ضيق صدره من مباحث لا تفقهها العوام . ولا ينتفع بهـا الا خاصة الأنام فأجابه بأن أمره كان لفصول تنتخب منـه . وقد تحققت بذلك كمال حذقه رحمه الله ورضى عنه . لذلك عزمت سنة (١٣٢٣) على اختصاره فى جزئين موجزين على الشريطة السالفة . أساير فيهما ترتيب أصله بلا مخالفة . والمأمول أن تحظى بالغاية الموخاة . والضالة المنشودة . وبالله المستعان . وعليه التكلان ✲

كتاب العلم

﴿ فضيلة العلم ﴾

شواهده من القرآن آيات كثيرة منها قوله عز وجل ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ والمَلاَئِكةُ وأُلُوا العِلْمِ قائِمًا بالقِسْطِ ﴾ فانظر كيف بدأ سبحانه

---

(١) هو الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية أيام كنا فى ضيافته بمصر عام (١٣٢١) واستشرناه فأشار به عليه الرحمة والرضوان*

وتعالي بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا وفضلا وقال الله تعالى ﴿ يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وقال الله عز وجل ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾ وقال تعالى ﴿ ولَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ردّ حكمه فى الوقائع الى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله تعالى *

وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فى الدِّينِ ويُلْهِمْهُ رُشْدَهُ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ ﴾ ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوّة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال صلوات الله عليه ﴿ إذا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لا أَزْدادُ فيهِ عِلْماً يُقَرِّبُنى إِلَى اللهِ عز وجلَّ فَلا بُورِكَ لِى فى طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ اليَوْمِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة ﴿ فَضْلُ العالِمِ عَلَى العابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحابِى ﴾ فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوّة وكيف حطّ رتبة العمل المجرّد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَضْلُ العالِمِ عَلَى العابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سائِرِ الكَواكِبِ ﴾ ومن وصايا لقمان لابنه

﴿ يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء ﴾

﴿ فضيلة التعلم ﴾

أما الآيات فقوله تعالى ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فى الدِّينِ ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ باباً مِنَ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ﴾ وقال أبو الدرداء لأن أتعلم مسئلة أحبّ إلىّ من قيام ليلة . وقال أيضاً العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لاخير فيهم .وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة . وقال فتح الموصلى رحمه الله أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها أبطل احساسه فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته وان أحدًا

لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم *

﴿ فضيلة التعليم ﴾

أما الآيات فقوله عزّ وجلّ ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون ﴾ والمراد هو التعليم والارشاد . وقوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه) وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى (وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون) وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة (ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه) وقال تعالى (ومن احسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا) وقال تعالى (أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال تعالى (ويعلّمهم الكتاب والحكمة) وأما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدّنيا وما فيها) وقال صلى الله عليه وسلم (من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتّى النملة فى جحرها وحتّى الحوت فى البحر ليصلّون على معلّم النّاس الخير) وقال صلى الله عليه وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وقال صلى الله عليه وسلم (الدّالّ على الخير كفاعله) وقال صلى الله عليه وسلم (رحمة الله على خلفائى) قيل ومن خلفاؤك . قال الّذين يحيون سنّتى

ويُعَلِّمُونَها عِبادَ اللهِ) *

ومن الآثار ما روى عن معاذ أنه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة . ومدارسته تسبيح . والبحث عنه جهاد . وتعليمه من لا يعلمه صدقة . وبذله لأهله قربة . وهو الأنيس فى الوحدة . والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين . والمصبّر على البأساء والضرّاء . يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم . أدلة فى الخير . تقتصّ آثارهم . وترمق أفعالهم . يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلى . والتفكر فيه يعدل بالصيام . ومدارسته بالقيام . به يطاع الله عز وجل . وبه يعبد . وبه يوحد ويمجد . وبه يتورّع . وبه توصل الأرحام . وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه . يلهمه السعداء . ويحرمه الاشقياء . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . أى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمية الى حدّ الانسانية *

* بيان العلم الذى هو فرض عين *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) فمنه ما يدرك به التوحيد ويعلم به ذات الله تعالى وصفاته . ومنه ما تعرف به العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل ومنه ما تعلم به أحوال القلب ما يحمد منها كالصبر والشكر والسخاء وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ـ وما يذمّ كالحقد والحسد والغش والكبر والرياء والغضب والعداوة والبغضاء والبخل . فمعرفة ما

تكتسب به الأولى وماتجتنب به الثانية فرض عين كتصحيح المعتقدات والعبادات والمعاملات *

كتاب عقيدة أهل السنة

* في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الاسلام *

عقيدتهم في ذاته تعالى وتقدس انه إلهٌ واحد لا شريك له . قديم لا أوّل له . مستمرّ الوجود لا آخر له . أبدىّ لانهاية له . دائم لاانصرام له لم يزل ولايزال . موصوفابنعوت الجلال . لايقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرّم الآباد وانقراض الآجال . بل هوالأول والآخر . والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم . وانه ليس بجسم مصوّر . ولا يماثل موجودا . ولا يماثله موجود . ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده . وهو فوق العرش والسماء . وفوق كل شيء الى تخوم الثرى . فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى . بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما انه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى . وهومع ذلك قريب من كل موجود . وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد . اذلايماثل قربه قرب الاجسام . كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام . وانه لايحل فى شيء ولا يحل فيه شيء . تعالى عن أن يحويه مكان . كما تقدس عن أن يحدّه

زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان . وهو الآن على ماعليه كان وانه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئىّ الذات بالابصار . فى دار القرار نعمة منه ولطفا بالابرار . وانما منه للنعيم . بالنظر الى وجهه الكريم . وانه تعالي حىّ قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز . ولا تأخذه سنة ولا نوم . ولا يعارضه فناء ولا موت . وانه المنفرد بالخلق والاختراع . المتوحد بالايجاد والابداع . وانه عالم بجميع المعلومات . محيط بما يجرى من تخوم الارضين الى أعلى السموات . لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة فى الارض ولا فى السماء . بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذرّ فى جوّ الهواء . ويعلم السرّ وأخفى . ويطلع على هواجس الضمائر . وحركات الخواطر . وخفيات السرائر . بعلم قديم أزلى . لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال . وانه تعالى مريد للكائنات . مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت أمر الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا رادّ لأمره . ولا معقب لحكمه . وانه تعالى سميع بصير . لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى . ولا يغيب عن رؤيته مرئىّ وان دقّ . ولا يحجب سمعه بعد . ولا يدفع رؤيته ظلام لايشبه سمعه وبصره سمع وبصر الخلق . كما لا تشبه ذاته ذات الخلق . وانه تعالى متكلم آمر ناه . واعد متوعد . وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام . وانه تعالى كلم موسى عليه السلام بكلامه الذى هو صفة ذاته لا خلق من خلقه . وان القرآن كلام الله ليس بمخلوق

فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد . وانه سبحانه وتعالى لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله . وفائض من عدله . على أحسن الوجوه وأكملها . وأتمها وأعدلها. وانه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته . فكل ما سواه من انس وجن وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه انشاء بعد ان لم يكن شيأ . اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره . فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته . وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته . لا لافتقاره اليه وحاجته . وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب . ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم . فله الفضل والاحسان . والنعمة والامتنان . وانه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم اللزوم له . اذ لا يجب عليه لاحد فعل . ولا يتصور منه ظلم . ولا يجب لاحد عليه حق . وان حقه في الطاعات واجب على الخلق بايجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل . ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به . وانه بعث النبي الأمّي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى العرب والعجم والجن والانس . وانه ختم الرسالة والنبوة ببعثته . فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وأنزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم وهدى به الصراط المستقيم . وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون

وانه تعالى قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لاوليائه وأكرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم . وخلق النار فأعدّها دار خلود لمن كفر به وألحد فى آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته[1] *

وندين بأن لانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور . وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالايمان جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . ونرجو الجنة للمذنبين . ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين . ونقول ان الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد ان امتحشوا[2] بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونؤمن بعذاب القبر وان الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف ويحاسب المؤمنين . وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه عليه السلام ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين . ونقول ان الامام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه وان الله أعز به الدين . وأظهره على المرتدين . وقدمه المسلمون بالامامة كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ثم عثمان بن

---

(١) الى هنا من كلام الغزالى وما بعده من كتاب الابانة للامام الاشعرى

(٢) أى احترقوا والمحش احتراق الجلد وظهور العظم ويروى امتحشوا لما لم يسم فاعله اه نهاية

عفان رضي الله عنه وان الذين قاتلوه قاتلوه ظلما وعدوانا . ثم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فهولاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة . ونتولى سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان فى معناه . ولا نبتدع فى دين الله مالم يأذن لنا ولا نقول على الله مالا نعلم . ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك[1] ونقول ان الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم

كتاب أسرار الطهارة

قال تعالى ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ

(١) فى الاقناع وشرحه ـ من كتب الحنابلة ـ وكل قربة فعلها المسلم وجعل ثوابها لمسلم حىّ أو ميت جاز ونفعه لحصول الثواب له حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تطوع وواجب تدخله النيابة كحج وصوم نذر أو لا كصلاة وكدعاء واستغفار وصدقة وعتق وأضحية وأداء دين وصوم وكذا قراءة وغيرها . قال الامام احمد : الميت يصل اليه كل شئ من الخير للنصوص الواردة فيه ولان المسلمين يجتمعون فى كل مصر ويقرؤن ويهدون لموتاهم من غير نكير فكان اجماعا اه

الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ) وعنه (بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ) ففطن ذو والبصائر بهذه الظواهر ان أهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (الطهُورُ نِصفُ الْإِيمانِ) عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء والقائه وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات . والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الأولى) تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات . (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السرّ عما سوى الله تعالى وهو طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وكثرت عقباته فلا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا * نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيّل العقل ان الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين

واستغراقهم جميع الهمّ والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية . ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء . فكانت عنايتهم كلهم بنظافة الباطن . ولم ينقل عن أحد منهم سؤال عن دقائق النجاسات . وقد انتهت النوبة الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه . ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو صلى على الارض من غير سجادة مفروشة أو توضأ من آنية كافر أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر . فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه اذا عرفت هذه المقدمة فلنتكلم الآن من مراتب الطهارة على الرابعة وهى نظافة الظاهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام . طهارة عن الخبث . وطهارة عن الحدث . وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحمام واستعمال النورة والختان وغيرها *

﴿ القسم الاول فى طهارة الخبث ﴾

« والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة »

﴿ الطرف الاول فى المزال وهى النجاسة ﴾

الاعيان ثلاثة جمادات . وحيوانات . وأجزاء حيوانات . أما الجمادات

فطاهرة كلهـا الا الخمر . وكل منتبذ مسكر . والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير . فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة (١) الآدمى (٢) والسمك (٣) والجراد(٤) ودود التفاح وفى معناه كل مايستحيل من الاطعمة (٥) وكل ماليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه . وأما أجزاء الحيوانات فقسمان (أحدهما) مايقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزّ والموت . والعظم ينجس (الثانى) الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ماليس مستحيلا ولا له مقرّ فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط . وماله مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمنىّ والبيض والقيح والدم والروث . والبول نجس من الحيوانات كلها . ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة . (الاول) أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه مالم يَعْدُ المخرج (والثانى) طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب المتلطخ به الى تفريط أو سقطة . (الثالث) ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة (الرابع) دم البراغيث ماقل منه أو كثر الا اذا جاوز حدّ العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته (الخامس) دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفى معناه مايترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا ـ وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من جراح أو غيره

فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الانسان عنها فى أحواله . ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما أبدع فيها وسوسة لا أصل لها *

﴿ الطرف الثانى فى المزال به ﴾

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشئ منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة مايستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فان لم يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ خَلَقَ ٱللهُ المَاءَ طَهُورًا لاَ يُنَجِّسُهُ شيءٌ إِلا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ لَوْنَهُ اوْ رِيحَهُ ﴾

﴿ الطرف الثالث فى كيفية الازالة ﴾

النجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها . وان كانت عينية فلا بد من إزالة العين . وبقاء اللون بعد الحت والقرص معفو عنه . ويعفى عن الرائحة إذا عسر إزالتها . والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون . والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معها *

﴿ القسم الثانى طهارة الأحداث ﴾

ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء . وآداب قاضى الحاجة ان شاء الله تعالى *

﴿ آداب قضاء الحاجة ﴾

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وان يستتر بشئ ان وجده. وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وان يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لا يبول فى الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الثقب وأن يتقى الموضع الصلب ومهبات الرياح فى البول إستنزاهاً من رشاشه وان يتكئ فى جلوسه على الرجل اليسرى وان كان فى بنيان يقدّم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يقول عند الدخول . بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث وعند الخروج الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى علىّ ماينفعنى وأن يستبرئ من البول بالنتر ثلاثا ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فيقدّر أنه بقية الماء . وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة على قلة الفقه . ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك رسول الله صلوات الله عليه

مع شدة حيائه ليبيّن للناس ذلك *

﴿ كيفية الاستنجاء ﴾

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار . ومثلها كل خشن طاهر . ثم يستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محـل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحسّ اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل مالا يصل اليـه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر . وكل ماهو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحدّ طهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس *

﴿ كيفية الوضوء ﴾

إذا فرغ من الاستنجاء . وأراد القيام الى الصلاة . اشـتغل بالوضوء ويتدئ بالسواك ثم يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويسمّى ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر الا أن يكون صائما ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر مافيها ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى مايقبـل من الذقن فى الطول ومن الاذن الى الاذن فى العرض ويوصـل الماء الى منابت الشـعور الأربعـة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهـداب لأنها خفيفة فى الغالب . والى منابت اللحية الخفيفة وأما الـكثيفة فيفيض الماء على ظاهرها ويندب تخليلها ويدخل الاصابع فى

محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرّك الخاتم ويبدأ باليمين ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رؤس أصابع يده اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمرهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد ثم يمسح رقبته بماء جديد ثم يغسل رجليه الى الكعبين ويخلل أصابعهما فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين ﴾

﴿ مايكره فى الوضوء ﴾

يكره فى الوضوء أن يزيد على الثلاث وأن يسرف فى الماء * توضأ عليه الصلاة والسلام ثلاثا وقال ﴿ مَنْ زَادَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ ﴾ وقال ﴿ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ ﴾ ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وان يلطم وجهه بالماء لطما *

﴿ الاعتبار بالطهارة ﴾

متى فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهر قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب

بالتوبة والخلوّ عن الأخلاق المذمومة والتخلّق بالأخلاق الحميدة أولى من أن يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرّانى من الدار وما أجدره بالتعرض للمقت والبوار *

﴿ كيفية الغسل ﴾

يغسل يديه ثلاثا ثم يستنجى ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلاّ غسل القدمين فانه يؤخرهما ثم يصب الماء على رأسه ثم على شقه الأيمن ثم الأيسر ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه وما خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد معاطف البدن والغسل الواجبُ بأربعة بخروج المنىّ والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والاحرام والوقوف بعرفة ولدخول مكة ولمن غسل ميتا *

﴿ كيفية التيمم ﴾

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده من بعد الطلب أو لمانع له عن الوصول اليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه الا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة

أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغى أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خف أو كثف ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية ويفرج فيها بين أصابعه ويمسح بكفه اليسرى يده اليمنى وبكفه اليمنى يده اليسرى واذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ويعيد التيمم لفرض ثان *

﴿ القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الطاهرة ﴾

(وهى نوعان أوساخ وأجزاء)

﴿ النوع الأوّل الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية ﴾

(الأوّل) مايجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به (الثانى) مايجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن . والمسح يزيل مايظهر منه وما يجتمع فى قعر صماخى أذنيه فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام (الثالث) ما يجتمع فى داخل الأنف ويزيله بالاستنشاق والاستنثار (الرابع) ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان فيزيله السواك والمضمضة (الخامس) مايجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل

والتسريح بالمشط . وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بين العبد و بين الله عزّ وجل . والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال (السادس) وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم (السابع) تنظيف الرواجب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهى رؤس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ (الثامن) الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام *

﴿ آداب الحمّام ﴾

لا بأس بدخول الحمام * دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم . نِعْمَ البيت بيت الحمّام يطهر البدن ويذكر النار * روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم بِئسَ البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته . وذاك تعرض لفائدته . ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات . فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مسّ الغير فلا يتعاطى أمرها وازالة

وسخها الا بيـده ويمنع الدلاك من مسّ الفخذ وما بين السرة الى العانة والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها . لان النهى عن الـكشف واجب وعليـه ذكر ذلك وليس عليـه القبول . وأما السنن فمنها النيـة وهو أن لايدخـل لعاجل دُنيا ولا عابثا لاجـل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ويقـدم رجله اليسرى عنـد الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليـه لو علمه الحمامى لـكرهه لاسيما الماء الحارّ فله مؤنة وفيـه تعب وأن يتذكر حر النار بحر الحمام ويقـدر نفسه محبوسا فى البيت الحارّ ساعة ويقيسه الى جهنم فانه أشبه بيت بجهنم . النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك . ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله ولا بأس بأن يدلـكه غيره ويغمز ظهره وأطرافه ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عزّ وجل على هـذه النعمة ويكره طبّا صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه ويكره للمرأة دخوله الا لضرورة بمئزر سابغ *

﴿ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية ﴾

(الاول شعر الرأس) ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله (الثاني شعر الشارب) يندب قص ما طال عن الشفة منه ولا بأس بترك السبالين (الثالث شـعر الابط) تستحب ازالته فى كل أربعين يوما فأقل (الرابع شعر العانة) تستحب ازالتـه بالحلق أو بالنورة فى

المدة المتقدمة (الخامس الأظفار) وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ وليس في ترتيب قلمها مروىّ صحيح (السادس والسابع) زيادة السرّة وقلفة الخشفة أما السرة فتقطع فى أول الولادة وأما التطهير بالختان فلا بأس به فى اليوم السابع من الولادة وان خيف منه خطر فالاولى تأخيره (الثامن) ماطال من اللحية روى عن بعض الصحابة والتابعين أخذ ما زاد عن القبضة وقال آخرون تركها عافية أحب ، والامر فى هذا قريب ان لم ينته الى الطول المفرط فانه قد يشوه الخلقة و يطلق ألسنة المغتابين بالنبز اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وفى اللّحية عشر خصال مكروهة و بعضها أشد كراهة من بعض . خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلوّ السن وَخضابها بالحمرة من غير نية تشبها بالصالحين . فأما الخضاب بالسواد فقد روى فيه نهى لأنه قد يفضي الى الغرور والتلبيس . وأما تبييضها بالكبريت فقد يكون استعجالا لاظهار علوّ السن توصلا الى التوقير . وترفعا عن الشباب واظهارًا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل الا جهلا . فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها . ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته . وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم . كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن

على أكابر الصحابة و يسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنه ما آتى الله عز وجل عبده علما الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عز وجل ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ وقال أيوب السختيانى. أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقيل لابى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به *

﴿ باب أسرار الصلاة ومهماتها ﴾

الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات وقد استقصيت أصولها وفروعها فى فن الفقه فنقتصر هنا على مالابد منه للمريد من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة *

﴿ فضيلة الأذان ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لاَ يَسْمَعُ نِدَاءَ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلا شَىْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ﴾ وذلك محبوب مستحب الا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وفى قوله قد قامت الصلاة . أقامها الله وأدامها . وفى التثويب أى قول مؤذن الفجر الصلاة خير من النوم ـ صدقت وبررت وعند الفراغ يقول ﴿ اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة

القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ﴾

﴿ فضيلة المكتوبة ﴾

قال الله تعالى (إنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ ﴾ وسئل صلى الله عليه وسلم أىّ الاعمال أفضل فقال ﴿ الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا ﴾ وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فاطفئوها *

﴿ فضيلة اتمام الاركان ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ صَلَّى صَلَاةً لِوَقْتِهَا وَأَسْبَغَ وُضُوءَهَا وَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَخُشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي وَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ وَقْتِهَا وَلَمْ يُسْبِغْ وُضُوءَهَا وَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ ﴾ *

﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ﴿ صَلَاةُ الْجَمْعِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ﴾ وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى

فى بعض الصلوات فقال ﴿ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّى بِالنَّاسِ ثُمَّ اخَالِفُ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَأُحْرِقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ﴾ . وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال محمد بن واسع . ما اشتهى من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوّجت قوّمنى . وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة . وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وقال الحسن . لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال ابن عباس رضي الله عنه . من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به *

﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ﴾ وقال تعالى ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ يعنى نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر *

﴿ وجوب الخشوع ﴾

قال الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى ﴾ ـ ظاهر الأمر الوجوب . والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى صلاته كيف يكون مقيما لها لذكره تعالى وقال سبحانه ﴿ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ جعل أول مراتب الفلاح الخشوع في الصلاة اعلاما بان من فقده فهو بمراحل عن الفوز والنجاح الذى هو معنى الفلاح . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَضَعُ يَدَيْكَ تَقُولُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خَدَاجٌ ﴾ وروى من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا . وحكى عن مسلم بن يسار انه كان يصلى فى مسجد البصرة فسقط حائط المسجد ففزع أهل السوق لهدته فما التفت ولاهئ بسلامته عجب وقال ما شعرت بها. وقال ابن عباس ركعتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه *

﴿ فضيلة المسجد وموضع الصلاة ﴾

قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ(١) بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا دَخَلَ احَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ ﴾ وقال صلى الله عليه

---

(١) أى مجتمعها لتضع فيه بيضها وترقد عليه كأنها تفحص عنه التراب أى تكشفه وحمله الأكثر على المبالغة وقيل بان يزيد فى المسجد قدرا يحتاج اليه كمفحصها أو على الاشتراك من جماعة فى بنائه فتقع حصة كل واحد كذلك القدر اه

وسلم ﴿ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَحَلَّقُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَلَيْسَ هَمُّهُمْ إِلاَّ الدُّنْيَا وَلَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ فَلاَ تُجَالِسُوهُمْ ﴾

﴿ أعمال الصلاة الظاهرة ﴾

اذا فرغ المصلى من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة الى الركبة فعليه أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة وليقرب من جدار الحائط فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز موضع سجوده . وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات ثم ينوى أداء الصلاة بقلبه ويرفع يديه الى حذو منكبيه مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها ويكبر ثم يضع اليدين على صدره ويضع اليمنى على اليسرى ولا ينفض يديه اذا فرغ من التكبير بل يرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا وينبغى أن يضم الهاء من قوله (اللهُ) ضمة خفيفة من غير مبالغة . ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو ولا بين باء أكبر وراءه ألفا كانه يقول (اكبار) ويجزم راء التكبير ولا يضمها *

﴿ القراءة ﴾

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح عقب التكبير قائلا : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا . أو ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى

ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له و بذلك أمرت وأنا من المسلمين﴾ أو : سبحانك اللهم . وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك . ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة ويقول بعدها آمين ولا يصلها بقوله (ولا الضالين) ويجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء الا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها . ولا يصل آخر السورة بتكبيرة الهوىّ بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ فى الصبح من السور الطوال من المفصل وفى المغرب من قصاره وفى الظهر والعصر والعشاء من أوساطه . وفى الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية *

﴿ الركوع ولواحقه ﴾

ثم يركع ويراعى فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع * وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع * وأن يمد التكبير الى تمام الركوع * وأن يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق * وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما * وأن يمد ظهره مستويا لايكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه * وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها * وأن يقول (سبحان ربي العظيم) ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن إماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول (سمع الله لمن حمده) ويطمئن فى الاعتدال ويقول (ربنا لك الحمد ملء السموات

والارض وملء ماينهماوملء ماشئت منَ شئ بعد) ويقنت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة *

﴿ السجود ﴾

ثم يهوى الى السجود مكبراً فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه مع غير الركوع ويجافى مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك ويفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك ويرفع بطنه عن فخذيه ولا تفعل المرأة ذلك ويضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ولا يفترش ذراعيه على الأرض وان يقول (سبحان ربي الاعلى) ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول : رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويصلى الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوّذ فى الابتداء *

﴿ التشهد ﴾

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى الا المسبحة ويشير بها عند قوله (إلا الله) ويجلس فى هذا التشهد على رجله

اليسرى كما بين السجدتين وفى التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويجلس فيه على وركه الايسر لانه ليس مستوفزاً للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ثم يقول (السلام عليكم ورحمة الله) ويلتفت يمينا بحيث يُرى خده الايمن وشمالا كذلك وينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الاولى وينوى مثل ذلك فى الثانية ولا يرفع صوته إلا بقدر مايسمع روحه *

﴿ المنهيات ﴾

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والمتلثم فأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفى معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا حَضَرَ ٱلْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ ٱلصَّلَاةُ فَٱبْدَؤُا بِٱلْعَشَاءِ ﴾ والنهى عن التلثم من حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطى الرجل فاه في الصلاة . وقال الحسن كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع ويكره أيضا أن ينفخ فى الارض عند السجود وأن يسوى الحصا بيده وأن يستند فى قيامه الي حائط وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك *

﴿ تمييز الفرائض والسنن ﴾

ماتقدم يشتمل على فرائض وسنن وهيئات فالسنن من الافعال رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوى الى الركوع وعند الرفع منه والجلسة للتشهد الاول والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة . وترك الالتفات هيئة للقيام وتحسين لصورته . والسنن من الاذكار دعاء الاستفتاح والتعوذ وقول آمين وقراءة السورة وتكبيرات الانتقالات والذكر فى الركوع والسجود والاعتدال والتشهد الاول والصلاة فيه على النبي صلوات الله عليه والدعاء فى التشهد الاخير والتسليمة الثانية ــ هذه السنن وما عداها فهو واجب * واعلم أن الصلاة كالانسان فروحهاوحياتها أعنى الخشوع وحضور القلب والاخلاص كروح الانسان وحياته وأركانها تجرى منها مجرى قلبه ورأسه وكبده اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها كما ينعدم الانسان بعدمها . والسنن تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين منه فهى لا تفوت الحياة بفواتها ولكن يصير المرء بفقدها مشوه الخلقة مذموما والهيئات تجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون ونحوها فمن اقتصر على أقل مايجزئ من الصلاة كان كمن أهدى الى ملك من الملوك عبدا مقطوع الاطراف فالصلاة قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها *

﴿ بيان الشروط الباطنة من أعمال القلب ﴾

(اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وظاهر الامر الوجوب. والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ نهى وظاهره التحريم وقوله تعالى ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهمّ بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ) حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد * وقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا ﴾ وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كَمْ مِنْ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صَلَاتِهِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ ﴾ وما أراد به الا الغافل . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا ﴾ والتحقيق فيه أن المصلى مناج ربه عز وجل ـ كما ورد به الخبر ـ والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ولو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا

فى قلبه فلو كان تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهمّ بفكر من الافكار ولم يكن له قصد يوجه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل والقلب بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب واللسان يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الأيمان به . وبالجملة فحضور القلب هو روح الصلاة . ومن عرف سرّ الصلاة علم أن الغفلة تضادّها *

﴿ بيان المعانى الباطنة التى بها تميز حياة الصلاة ﴾

يجمع تلك المعانى على كثرتها ستة جمل . حضور القلب . والتفهم والتعظيم . والهيبة . والرجاء . والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها *

(أما التفاصيل) فالأول حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما . والتفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب وهو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ . وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة تمنعه عن الفحشاء والمنكر . والتعظيم وراء الحضور والفهم زائد عليهما . والهيبة زائدة على التعظيم وهى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم

والاجلال . والرجاء الطمع بمثوبتـه تعالى ويقابله الخوف من عقـابه تعالى بتقصيره . والحياء استشعار تقصيره وتوهم ذنب *

(وأما أسباب هذه المعانى الستة) فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة اليها *

(وأما التفهم) فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن الى إدراك المعنى وعلاجه ما تقدم مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفعها قطع موادّها أعنى النزوع عن تلك الاسباب التى تنجذب الخواطر اليها *

(وأما التعظيم) فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين * إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الايمان * الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم *

(وأما الهيبة والخوف) فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيـه مع قلة المبـالاة به وإنه لو أهلك الأولين والآخرين لم

ينقص من ملكه ذرّة وكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة *

(وأما الرجاء) فسببه معرفة لطف الله عزوجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة *

(وأما الحياء) فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظم حق الله عز وجل و يقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وميلها الى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففى معرفة السبب معرفة العلاج . ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين *

﴿ بيان الدواء النافع فى حضور القلب ﴾

إعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحيا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد إيمانه وإن كانت قوّتها بقدر قوّة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا ينهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشىء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه *

وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا باطنا * أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه وينصرف فيه ثم تنجرّ منه الفكرة الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لابدّ وأن يتفرّق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بأن يغض بصره أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة . وأما الأسباب الباطنة فهى أشدّ فان من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهول المُطَّلَع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره *

فان كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة عن إحضار القلب ـ ولا شك أنها تعود الى مهماته ـ وأنها إنما صارت مهمات بشهواته ـ فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم

وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إذْهَبُوا بِها إلى أبي جَهْمٍ فإنَّها ألْهَتْني آنِفاً عَنْ صَلاتي وأْتُوني بإنْبِجَانِيَّةِ أبي جَهْمٍ ﴾

﴿ بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة ﴾

اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر . وأما الطهارة فاذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم فى ثيابك وهو غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبّك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهرا بالتوبة والندم على ما فرّطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهّر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك (وأما ستر العورة) فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث وجود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك ويستكن تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف *

(وأما الاستقبال) فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى . أفترى أن صرف القلب من سائر الأمور الى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات . فلا مطلوب سواه . وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتهـا الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه الى جهـة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه *

(وأما الاعتدال قائمـا) فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرّؤ عن الترؤس والتكبر مع ذكر خطر القيـام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عنـد العرض للسؤال . واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيـامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله *

(وأما النية) فعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منـه متقلدا للمنة منـه باذنه لك فى المناجاة مع كثرة عصيانك . فعظّم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي . وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفرّ وجهك من الخوف *

(وأما التكبير) فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه أو كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل وأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيكون قولك (الله أكبر) كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته. وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرمه سبحانه وعفوه

(وأما دعاء الاستفتاح) فأول كلماته قولك (وجَّهتُ وجهى الذى فطر السموات والأرض) وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة . والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وانما وجه القلب هو الذى تتوجه به الى فاطر السموات والأرض فانظر اليه أمتوجه الى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات . وإياك أن تكون أوّل مفاتحتك للمناجاة بالكذب ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا . واذا قلت (حَنيفاً مُسلما) فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال . واذا قلت (وما أنا من المشركين) فأخطر ببالك الشرك الخفى كمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس . فكن حذرا متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير

منه . واذا قلت (محياى ومماتى لله) فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال . واذا قلت (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها . وأنّ استعاذتك بالله سبحانه منه بترك مايحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك . فان من قصده سبع أو عدوّ ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ذلك لاينفعه بل لايفيده الا بتبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محابّ الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول ، ومن اتخذ إلههواه فهو فى ميدان الشيطان لافى حصن الله تعالى . واعلم ان من مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ماتقرأ . فاعلم ان كل مايشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها . فاذا قلت (بسم الله الرحمن الرحيم) فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناها ان الامور كلها بالله سبحانه . واذا كانت الامور به تعالى فلا جرم كان (الحمد لله) ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكره لا من حيث انه مسخر من الله عز وجل فنى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى . فاذا قلت (الرحمن الرحيم) فاحضر

فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمتـه فينبعث به رجاؤك . ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك (مالك يوم الدين) أما العظمة فلانه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالـكه . ثم جـدد الاخلاص بقولك (اياك نعبد) وجدد العجز والاحتياج والتبرئ من الحول والقوة بقولك (واياك نستعين) وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وأن له المنة اذ وفقك لطاعته . ثم عين سؤالك ولا تطلب الا أهمّ حاجتك وقل (اهدنا الصراط المستقيم) الذى يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين . ثم التمس الاجابة وقل (آمين) ولولم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ـ وكذلك ينبغى أن تفهم ما تقرأه من السور فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعـده ووعيده ومواعظه واخبار أنبيائه وذكر منتـه واحسانه ولـكل واحد حق . فالرجاء حق الوعد . والخوف حق الوعيد . والعزم حق الأمر والنهى . والاتعاظ حق الموعظة . والشكر حق المنة . والاعتبار حق أخبار الانبياء . وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لا تنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيهـا تنكشف أسرار الـكلمات فهـذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً * ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل

(وأمادوام القيام) فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلٌ عَلَى الْمُصَلِّى مَالمْ يَلْتَفِتْ) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر من الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك و بقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجى ليعود اليه . وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع . ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته (أَمَا هَذَا لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ فَانَّ الرَّعِيَّةَ بِحُكْمِ الرَّاعِى) ولهذا ورد فى الدعاء اللهم اصلح الراعى والرعية وهو القلب والجوارح *

(وأما الركوع والسجود) فينبغى أن تجدّد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عزّ وجلّ من عقابه ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك . وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعزّ مولاك واتضاعك وعلوّ ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه أعظم من كل شئ عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار . ثم ترتفع من ركوعك مؤكداً للرجاء فى نفسك بقولك (سمع الله لمن حمده) أى أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضى للمزيد فتقول (ربنا لك الحمد) وتكثر الحمد بقولك (ملء السموات وملء الأرض) ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب.

وان أمكنك أن لاتجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدلّ على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى أصله وانك من التراب خلقت واليه تعود . فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل (سبحان ربى الأعلى) وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله فان رحمته تسارع الى الضعف والذل لاالى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا (رب اغفر وارحم) ثم أكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك *

(وأما التشهد) فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات . واحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وقل (سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وليصدق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ماهو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين . ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة : مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتى الشهادة ومستأنفا للتحصن بها . ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة . واشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله

سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة . ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة . وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فتردّ صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله *

هذا تفصيل صلاة الخاشعين (الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . والذين هم على صلاتهم دائمون) والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوات فبالقدر الذى يُسِّرَ له منه ينبغى أن يفرح . وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر . وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته نسأله تعالى أن يتغمدنا برحمته ومغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته *

ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات قال الله عزّ وجل (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع . ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فوصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخرا . وما عندى ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى الى هذا الحدّ ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم (مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوّه

من قلوبهم فنسأل الله أن يجعلنا منهم *

﴿ الامامة ﴾

على الامام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة وفى أركان الصلاة وبعد السلام . أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة (أولها) أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه . وأن لا يتقدم ووراءه من هو أفقه منه إلا اذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم ويكره عند ذلك المدافعة (ثانيها) أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله تعالى ففضل أوّل الوقت على آخره كفضل الآخرة على الأولى . ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أوّل الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة . وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر للطهارة فلم يُنْتَظَر وقُدِّم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها فأشفقوا من ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنتم هكذا فافعلوا . وذهب مرة يصلح بين قوم فتأخر عن صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء صلوات الله عليه وهو فى الصلاة فقام إلى جانبه . وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام (ثالثها) أن يؤم مخلصاً لله عزّ وجلّ ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته . أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة

(قال الشيخ [١] تقي الدين ابن تيمية عليه الرحمة : ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضا وأجرة بل رزق للاعانة على الطاعة وكذلك المال الموقوف على أعمال البر والموصى به أو المنذور له ليس كالأجرة والجعل انتهى * قال الحارثي فالقائل بالمنع من أخذ الأجرة على نوع القرب لا يمنع من أخذ المشروط في الوقف) وأما الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم ـ وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه (رابعها) أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة . والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة (خامسها) أن يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وليأخر المأموم تكبيره عن تكبير الامام فيبتدئ بعد فراغه *

(وأما وظائف القراءة فثلاثة) أولها : أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولتي العشاء والمغرب

---

(١) ما بين الهلالين من النقل عن الامام ابن تيمية رحمه الله من زيادتنا على الأصل اه جمال الدين القاسمي *

وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معالا تعقيبا (الثانية) أن يكون للامام في القيام ثلاث سكتات أولاهن إذا كبر لدعاء الاستفتاح والثانية إذا فرغ من الفاتحة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن التعجيل فيه . ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة . وان لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أو كان فى السرية فلا بأس بقراءته السورة (الثالثة) التخفيف أولى سيما اذا كثر الجمع لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا صَلى أحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعيفَ وَالْكَبيرَ وَذَا الْحَاجَةِ وَإذا صَلَّى لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شاءَ) وقال صلوات الله عليه لمعاذ (إقْرَأْ سُورَةَ سَبِّحْ وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ وَالشَّمْسِ وَضُحاهَا)

(وأما وظائف الاركان فثلاثة) أوّلها : أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث (الثانية) فى المأموم ينبغي أن لا يسابق الامام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى الارض ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا (الثالثة) لايزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه بالدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا *

(وأما وظائف التحلل فثلاثة) أوّلها : ان ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة (الثانية) أن يثبت عقب السلام سيما اذا كان خلفه نسوة فلا يقوم حتى ينصرفن (الثالثة) اذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس *

﴿ فضل الجمعة وآدابها ﴾

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين قال الله تعالى (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم (خيرُ يوْمٍ طَلَعَتْ عليهِ الشمْسُ يومُ الجمعةِ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ تَرَكَ الجمعةَ ثلاثاً مِنَ غيرِ عُذرٍ طَبعَ اللهُ على قَلبِهِ) والعذر مثل المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ونحوها . ويستحب الغسل فيه ولا بأس من تقريبه من الرواح ليكون أقرب عهداً بالنظافة ويستحب فيه أخذ الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وتطييب الرائحة ولبس أحسن الثياب ويستحب البكور الى الجامع وأن يكون فى سعيه خاشعا متواضعا مبادراً الى ندائه تعالى الى الجمعة وينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمرّ بين أيديهم . والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطى الرقاب ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا مواضع الفضيلة * قال الحسن البصرى (رضي الله عنه) تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فانه لاحرمة لهم واذا دخل المسجد فليركع ركعتين وان كان الامام يخطب ولا يمر بين يدى الناس بل يجلس الى أقرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمروا بين يديه أعنى بين يدى المصلى فان ذلك منهىّ عنه ومن اجتاز به فينبغى أن يدفعه . فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيأ طوله قدر ذراع

ليكون ذلك علامة لحدّه و يندب طلب الصف الاول فان فضله كثير . والقرب من الخطيب ليستمع الخطبة . وتكره الصلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد . وعليه أن يقطع الكلام عند خروج الخطيب بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ قالَ لِصاحِبِهِ وَالإِمامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغا وَمَنْ لَغا وَالْإِمامُ يَخْطُبُ فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ) وهذا يدل على أن الاسكات ينبغى أن يكون باشارة أو رمى حصاة لا بالنطق . فاذا قضيت الصلاة فليرجع الى شأنه ذاكرا الله عزّ وجل مفكرا فى آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره . وكان صلى الله عليه وسلم يصلى بعد الجمعة ركعتين فى بيته و يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم وفي ليلته وأن يتصدق فيه إلا على من سأل والامام يخطب . قال ابن مسعود : إذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق أن لا يعطى : يعنى هؤلاء السؤّال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدا فى مكانه من غير تخطى . وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشرب به أو يسبّله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان البيع والشراء فى المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى الفضة خارج المسجد ثم شرب أو سبل فى المسجد و ينبغي أن يزيد فى الجمعة فى أنواع خيراته فان الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله فى الأوقات الفاضلة بفواضل الاعمال *

﴿ مسائل متفرقة يُحتاج الي معرفتها ﴾

(مسئلة)

الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة ـ وذلك فى دفع المارّ وقتل العقرب وحاجته إلى الحكّ الذى يشوش عليه الخشوع. ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه . وان عطس حمد الله عزّ وجل فى نفسه ولم يحرّك لسانه . وان تجشى فينبغى أن لا يرفع رأسه إلى السماء *

﴿ مسئلة ﴾

يسن أن يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا . والمرأة الواحدة تقف خلف الامام . فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهى خلف الرجل *

﴿ مسئلة ﴾

المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أوّل صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام . وان أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله عن الركوع فليتم . فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق . وان ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها . وان أدرك الامام فى السجود أو التشهد كبّر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه

فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لان ذلك انتقال محسوب له . ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والامام بعدُ فى حدّ الراكعين . فان لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حدّ الراكعين فاتته الركعة *

﴿ مسئلة ﴾

من فاتته الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولا ثم العصر . فان وجد جماعة فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء أولى *

﴿ مسئلة ﴾

من صلّى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه . ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم . وأصل هذا قصة خلع النعلين حيث أخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فخلعهما ولم يستأنف الصلاة *

﴿ مسئلة ﴾

من ترك التشهّد الاول أو شكّ فلم يدر أصلّى ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب *

﴿ مسئلة ﴾

الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع . لان امتثال أمر الله عزّ وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد . ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما

لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كان سفيها عقله . بل كما يراه و يعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة . واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما . ثم هذه الصفات لابد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة . وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب . فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية . فليس فيه إلا أنك دعيت الى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت . فالوسوسة محض الجهل *

﴿ مسئلة ﴾

لاينبغي أن يتقدم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الاعمال ولا ينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء . فان تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف وقد شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه وقال (أَمَا يَخْشَى الَّذى يَرْفَعُ رَاسَهُ قَبْلَ الامامِ أنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَاْسَهُ رَاْسَ حِمارٍ) *

﴿ مسئلة ﴾

حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة فى صلاته أن

يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه . فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف . والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور . وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعوّدوهم وان كانوا أصحّاء فعاتبوهم . والعتاب انكار على من ترك الجماعة . ولا ينبغى أن يتساهل فيه . وقد كان الاولون يبالغون فيه *

﴿ بيان نوافل العبادات ﴾

اعلم ان ماعدا الفرائض من الصلوات يسمى نافلة وتطوعا . فمنه مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء . ومنه ما يتعلق بأوقات كرواتب الصلاة ونحوها فمن الثانى (راتبة الصبح) وهي ركعتان يدخل وقتها بطلوع الفجر . فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ إذا أُقيمَتِ الصَّلاةُ فَلا صَلاَةَ إلاَّ المكتُوبَةُ ﴾ ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما (وراتبة الظهر) أربع قبلها وأربع بعدها وله الاقتصار على ركعتين قبل وبعد (وراتبة العصر) وهى أربع ركعات قبلها ولم تكن مواظبته صلوات الله عليه عليها كمواظبته على نافلة الظهر (وراتبة المغرب) وهما ركعتان بعد الفريضة وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فكان يفعله كثير من الصحب وصح أمر النبى صلوات الله عليه بها على سبيل التخيير (وراتبة العشاء) بعدها ركعتان أو أربع (وأما الوتر) فوقته بعد العشاء وأكثره

احدى عشرة ركعة وله أن يوتر بتسع وسبع وخمس وثلاث موصولة بتسليمة واحدة أو مفصولة بتسليمتين . وجعله بعد التهجد فى آخر الليل أفضل (وأما صلاة الضحى) فأكثر ما نقل فى عدد ركعاتها ثمان وأقله ركعتان ووقتها بعد اشراق الشمس وارتفاعها (وأما صلاة العيدين) فهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ويستحب يوم العيد الاغتسال والتزين والتطيب (وأما صلاة التراويح) فهى عشرون ركعة وكيفيتها معروفة (وأما صلاة الخسوف) فركعتان ينادى لهما ويصليهما الامام بالناس جماعة فى المسجد وفى كل منهما ركوعان وسجودان ثم يخطب بعدهما ويأمر الناس بالصدقة والتوبة . ووقتها عند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء (وأما صلاة الاستسقاء) فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى (الصلاة جامعة) فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين ويكثر من الاستغفار والدعاء (وأما صلاة الجنائز) فكيفيتها معروفة وهى من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره (وأما تحية المسجد) فركعتان وهى سنة مؤكدة وان اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود أن لايخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد (وأما ركعتا الوضوء) بعده

فمستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة (وأما صلاة الاستخارة) فمن همّ بأمر فقد أمر النبي صلوات الله عليه أن يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفى الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال : اللهم انى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علاّم الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى وان كنت تعلم ان هذا الأمر شرّ لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقْدِرْ لى الخيرَ حيث كان ثم رضّنى به . ويسمى حاجته *

﴿ الاوقات التى تكره فيها الصلاة ﴾

هى خمسة بعد العصر . وبعد الصبح . ووقت الزوال . ووقت الطلوع والغروب تكره فيها صلاة لاسبب لها . أما ما له سبب كقضاء راتبة وكسوف وجنازة فلا تكره فيها . وسرّ النهى التوقى من مضاهاة عبدة الشمس وبعث الداعية والنشاط ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار قضاء الوقت *

﴿ ما يقضي من النوافل ﴾

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلنى عنهما الوفد

وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلّى من أول النهار اثنتى عشرة ركعة . فمن كان له وِرْدٌ فعاقه عن ذلك عذر فينبغى أن لا يرخص لنفسه فى تركه بل يتداركه فى وقت آخر حتى لا تميل نفسه الى الدَّعة والرفاهية ، فتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس فيقصد به أن لا يفتر فى دوام عمله *

كتاب أسرار الزكاة

جعل الله تعالى الزكاة إحدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكاةَ) وقال صلى الله عليه وسلم (بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ومعنى الانفاق فى سبيل الله إخراج الزكاة . قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمرّ أبو ذر فقال بشر الكانزين بكيّ فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكيّ فى اقفائهم يخرج من جباههم . ولهذا التشديد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة ومعانيها الظاهرة والباطنة ـ وفى ذلك فصول *

﴿ أداء الزكاة وشروطها ﴾

إعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة أمور (الأول) البدار عقيب الحول . وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر . ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان . ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخّر زكاة ماله مع التمكن عصي ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق . وتعجيل الزكاة جائز (الثانى) أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فان أعين المساكين فى كل بلدة تمتدّ إلى أموالها . وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك أجزاه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة (الثالث) أن يقسم ماله بعدد الموجودين من الأصناف الثمانية فى بلده ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف (الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون) أعنى أبناء السبيل وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف *

﴿ سرّ كون الزكاة من مباني الاسلام ﴾

فى ذلك ثلاث معانى (الأول) أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بأفراد المعبود . وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى الموحد محبوب سوى الواحد الفرد . فان المحبة لاتقبل الشركة . والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وانما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن

الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ـ ولذلك قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم بأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عزّ وجل والمسامحة بالمال أهون . ولما فهم هذا المعنى فى بذل الاموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام . قسم صدقوا التوحيد ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدّخروا دينارا ولا درهما كما جاء أبو بكر رضى الله عنه إلى رسول الله بجميع ماله . وقسم دون هؤلاء وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات . فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها . وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة . وقد ذهب جماعة من التابعين الى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد . قال الشعبى بعد أن قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عزّ وجل (وآتَى الْمالَ عَلَى حُبِّهِ ذوِى القُرْبَى) الآية واستدلوا بقوله عزّ وجل (وَمِمَّارَزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ) و بقوله تعالى (وَأَنفِقوا مِمَّا رَزَقْنا كُمْ) فهو داخلٌ فى حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته عدا عن مال الزكاة والقسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الوجوب فلا يزيدون عليه ولا ينتقصون منه وهى أقل الرتب . وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة *

(المعنى الثانى) التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال تعالى (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فاولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) وانما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشئ لاينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير اعتياداً . والزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله و بقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى *

(المعنى الثالث) شكر النعمة . فان لله عزّ وجل على عبده نعمة فى نفسه وماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال . وما أخسّ من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر أو العشر من ماله *

﴿ وظائف المزكّى ﴾

(الأولى) التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة فى الامتثال بايصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن يعوّق عن الخيرات وعلما بأن فى التأخير آفات مع مايتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فان ذلك لمة الملك وما أسرع تقلب المؤمن و (الشَّيطانُ يعد الفقر وَيأمرَ بالفحشاء والمنكر) وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه *

(الوظيفة الثانية) الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال تعالى (وَإن تُخفُوها وَتؤتُوها الفقراء فَهُوَ خيرٌ لَكُمْ) وقد بالغ فى فضل الاخفاء

جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى . وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه كل ذلك توصلا الى رضاء الرب واحترازا من الرياء والسمعة . ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله *

(الثالثة) أن يظهر حيث يعلم أن فى اظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء فقد قال تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) وذلك حيث يقتضى الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الاظهار بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان . وهذا لأن فى الاظهار محذورا ثالثا سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى اظهاره . وقد قال الله تعالى (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) ندب إلى العلانية أيضا لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه . ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال *

(الرابعة) أن لا يفسد صدقته بالمنّ والاذى قال الله تعالى (لاَ تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى) والمنّ ان يذكرها ويتحدث بها أو يستخدمه بالعطاء أو يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى أن يظهرها . أو يعيره بالفقر .

أو ينتهره أو يوبخه بالمسئلة وأصل المنّ أن يرى نفسه محسناً إلى الفقير ومنعما عليه . وحقه أن يرى الفقير محسناً اليه بقبول حق الله عزّ وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير ومهما عرف المعانى الثلاثة ـ التى ذكرها فى الفصل قبل ـ لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه إما ببذل ماله اظهاراً لحب الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكراً على نعمة المال طلبا للمزيد *

وأما الأذى فمنبعه رؤيته أنه خير من الفقير ـ وهـذا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر وخطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تمنى درجته كيف وقد جعله الله تعالى متجرة له حتى يخلصه من عهدته بقبوله منه *

(الخامسة) أن يستصغر العطية فانه ان استعظمها أعجب بها والعُجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره *

(السادسة) أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه اليه وأجلّه وأطيبه . فان الله تعالى طيب ولا يتقبل إلا طيبا . واذا لم يكن المخرَج من جيد المال فهو من سوء الأدب . إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله عزّ وجل غيره . ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره . وقد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو

معنى الاغماض *

(السابعة) أن يطلب بصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فان فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوصها وهى ستة (الأولى) أن يطلب الأتقياء لأنهم يستعينون بالمال على التقوى فيكون شريكا لهم فى طاعتهم باعانته إياهم (الثانية) أن يكون من أهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم . والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية . وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل (الثالثة) أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد ـ وتوحيده أنه اذا أخذ العطاء حمد الله عزّ وجل وشكره ورأى أن النعمة منه وأن الواسطة مسخر بتسخير الله إذ سلط عليه دواعى الفعل ويسّر له الأسباب فأعطى ـ ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفىّ . فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه (الرابعة) أن يكون مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل . قال الله تعالى ﴿ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافاً ﴾ أى لا يلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم ـ وهذا ينبغى أن يطلب بالفحص عن أهل الدين في

كل محلة و يستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل . فثواب صرف المعروف اليهم أضعاف مايصرف إلى المجاهرين بالسؤال (الخامسة) أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عزّ وجل ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ أى حبسوا فى طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب ﴿ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرضِ ﴾ لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف ـ فبهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها. وكان صلى الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة . وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال . وقلة المال (السادسة) أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم . وفى صلة الرحم من الثواب مالايحصى ـ قال علىّ رضي الله عنه لان أصل أخا من إخوانى بدرهم أحبّ الىّ من أن أتصدق بعشرين درهما ـ والاصدقاء واخوان الخير أيضاً يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق ـ فهذه هى الصفات المطلوبة . وفى كل صفة درجات فينبغى أن يطلب أعلاها . فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى *

﴿ مصارف الزكاة وأصناف قابضيها ﴾

إعلم أنه لا يستحق الزكاة الا مسلم اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى *

(الصنف الأوّل الفقراء) والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة على الكسب . فمن قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر . وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته . وان كان متعبداً يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لان الكسب أولى من ذلك *

(الصنف الثانى المساكين) والمسكين هو الذى لا يغنى دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فأسا وحبلا وهو غنىّ والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدرحاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعنى مايحتاج اليه وذلك مايليق به وكذا كتب الفقه لاتخرجه عن المسكنة فانه محتاج اليها *

(الصنف الثالث العاملون) وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات ويدخل فيه الكاتب والمستوفى والحافظ والنقال *

(الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام) وهو الشريف الذى أسلم وهو مطاع فى قومه . وفي اعطائه تقريره على الاسلام وترغيب نظائره واتباعه *

(الصنف الخامس) الارقّاء يدفع الى السيد مايفك به رقبة العبد ويدفع للعبد أيضا مايفك به رقبته *

(الصنف السادس الغارمون) والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض فى معصية فلا يعطى الا اذا تاب ـ وان كان

غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة واطفاء فتنة *

(الصنف السابع الغزاة [١]) الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو *

(الصنف الثامن ابن السبيل) وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز فيه فيعطى ان كان فقيراً وان كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته *

﴿ وظائف القابض — وهى أربعة ﴾

(الأولى) أن يفهم أن الله عزّ وجل أوجب صرفه اليه ليكفى همّه

---

(١) هذا مما فسر به الفقهاء قوله تعالى (وفى سبيل الله) فجعلوا هذا الصنف للغزاة المجاهدين خاصة وقوفا مع آثار فى ذلك رويت عن السلف وعندى أن هذا القصر من حصر العام فى أهم أفراده لامن حصره فى مدلوله وموضوعه اللغوى لأن سبيل الله — كما قال ابن الأثير فى النهاية — كل عمل خالص سلك به طريق التقرّب إلى الله تعالى بأنواع التطوّعات والقربات على أن سبيل الله ليس نصاً فى الجهاد ولا ظاهرا فيه كما لا يخفى على من له إلمام بالأصول ولا يقدر أحد أن يأتى بنص من كتاب أو سنة أن سبيل الله هو الانفاق على المجاهدين دون غيرهم أبدا الا من آثار موقوفة على السلف مما ليس بحجة ولا قاطع .وقد تقرر أن العام يجب ابقاؤه على عمومه حتى يرد ما يخصصه واذ لامخصص فهو عام فى كل ما يتقرّب به إلى الله ويؤيد دينه وشرعه كبناء مدرسة وشراء كتب للعلماء واعانة فى مشروع خير وموضوع برّ مما لاتحصى أفراده فاحفظ هذه الفائدة اه

ويكون عونا له على الطاعة . فان استعان به على المعصية كان كافراً لأنعم الله عزّ وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه *

(الثانية) أن يشكر المعطي ويدعو له ويثنى عليه ـ ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه اليه ـ وللطريق حق من حيث جعله الله طريقاً وواسطة وذلك لاينافى رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشكُرِ اللهَ ﴾ وقد أثنى الله عزّ وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها نحو قوله تعالى ﴿ نِعْمَ الْعبْدُ إنّهُ أوّابٌ ﴾ إلى غير ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ أسدَى إلَيكُمْ مَعرُوفاً فَكافِئوهُ فإنْ لَمْ تَستَطيعوا فادْعُوا لَهُ حتى تَعْلَمُوا أنْ قَدْ كافأْتُمُوهُ ﴾ ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عنده نفسه وعند الناس صنيعه . فوظيفة المعطى الاستصغار . ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام . وعلى كل عبد القيام بحقه . وكل ذلك لايناقض رؤية النعمة من الله عزّ وجل فان من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل . وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا *

(الثالثة) أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فلايأخذ ممن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان مايسلم له لايعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به ـ وذلك إذا عجز عن الحلال *

(الرابعة) أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار مايأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق ـ ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذنّ مالا كثيراً بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه الى سنة ـ فهذا أقصى مايرخص فيه من حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّخر لعياله قوت سنة . ومن العلماء من ذهب الى أن للفقير أن يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى لأن هذا هو الغنى. وقد قال عمر رضى الله عنه إذا أعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر مايعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم . ولما تبرع أبو طلحة رضى الله عنه ببستانه قال له صلى الله عليه وسلم ﴿ إجْعَلْهُ فِي قَرابَتِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ﴾ فأعطاه حسّان وأبا قتادة . فحائط من نخل لرجلين كثير مُغْنٍ *

﴿ صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها واعطائها ﴾

(فضيلة الصدقة)

من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم (تَصَدَّقوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ) وفى رواية (إتَّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَة فَإنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتى يَقْضِيَ بَيْنَ النّاسِ) وقال صلى الله عليه وسلم (صَدَقَةُ السّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ) وسئل صلى الله عليه وسلم أىّ الصدقة أفضل قال (أنْ تَصَدَّقَ وَأنْتَ صَحِيحٌ

شَحِيحٌ تَأْمَلُ الغِنَى وَتَخْشَى الْفَاقَةَ وَلاَ تُمْهِلُ حتى إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كانَ لِفُلاَنٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِى تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ واللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إنَّمَا المِسكِينُ المُتَعَفِّفُ إقْرَؤُا إنْ شِئْتُمْ لايَسالونَ النّاسَ إلحافاً) وقال صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِماً إلاّ كانَ فِى حِفْظِ اللهِ عَزَّ وَجلَّ ما دَامَتْ عَلَيهِ مِنهُ رُقعَةٌ) *

ومن الآثار قول عروة لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع . وكان عمر رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على اولى الحاجة منا . وقال ابن أبى الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا

﴿ وجوب فضل اخفاء الصدقة ﴾

قال الله تعالى (إن تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمّاهِيَ وَإنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوها الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ) وفى الاخفاء خمسة معان *

(الأول) انه أبقى للستر على الآخذ . فان أخذه ظاهراً هتك ستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصوّن المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف *

(الثاني) انه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه و يظنون انه أخذ مع الاستغناء والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب

الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى * قال أيوب السختيانى انى لاترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث فى جيرانى حسد وقال آخر خشية أن يقول اخوانى من أين له هذا *

(الثالث) اعانة المعطى على أسرار العمل فان فضل السر على الجهر فى الاعطاء أكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف دفع رجل الى بعض العلماء شيأ ظاهراً فرده ودفع اليه آخر شيأ فى السر فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فى اخفاء معروفه فقبلته وذلك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه . ورد بعضهم ما دفع اليه علانية وقال له انك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك *

(الرابع) أن فى اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه

(الخامس) الاحترازعن شبهة الشركة لحديث (مَنْ أُهْدِىَ لَهُ هَدِيَّةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاؤُهُ فِيهَا) والأعمال بالنيات فينبغى للمخلص أن يكون مراقبا لنفسه حتى لايتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بمكر الشيطان نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق *

كتاب أسرار الصوم (١)

أعظم الله على عباده المنّه بما دفع عنهم كيد الشيطان وخيب ظنه اذ

(١) قال حكيم صيام الابد لايطاق وجعله شهرا من السنة فى نهاية الحسن وأما كون هذا الشهر رمضان فلا يسأل عنه عند العقل لانه لو لم يكن هو

جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنه وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم (الصَّومُ نِصفُ الصَّبرِ) وقال تعالى (إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أجرَهُم بِغيرِ حِسابٍ) فقد جاز ثواب الصوم قانون التقدير والحساب . وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم (وَالَّذى نَفسى بِيَدِهِ لَخَلوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِندَ اللهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ . يَقولُ اللهُ عزّ وَجلَّ إنَّما يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأجْلِى فالصَّومُ لِى وَأنا الذى أجزِى بِهِ) وهوموعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه قال صلى الله عليه وسلم (لِلصَّائِمِ فَرْحَتان فَرحَةٌ عِندَ إفْطارِه وَفَرحَةٌ عِندَ لِقاءِ رَبِّهِ) وقيل فى قوله تعالى (فَلاَ تَعلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهم مِنْ قُرَّةِ أعيُنٍ جَزاءً بِما كانوا يَعمَلونَ) كان عملهم الصيام لانه قال إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أجرَهم بِغيرِ حِسابٍ) فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا . فلا يدخل تحت وهم وتقدير ـ وجدير بأن يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومُشرّفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له لمعنيين (أحدهما) ان الصوم كفٌّ وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله عز وجل فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد (والثانى) انه قهر لعدو الله عز وجل

لكان غيره ولوسئل فى غيره هذا السؤال لادى الى معاجزة للفكر يفزع لمثلها السوفسطائية ثم ان شكر المحسن الأعظم يجب أن لانغفل عنه ولا يذكرنا به شئ مثل العبادات المرتبة في الأوقات المعلومة على وجه موافق للطاقة وتتيسر به الطاعة

فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى بالاكل والشرب وفى قمع عدو الله نصرة الله سبحانه . ونصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال تعالى (إن تَنصرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة ـ واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بدمن بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة *

﴿ الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده ﴾

(أما الواجبات الظاهرة فستة)

(الأوّل) مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غمّ فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعنى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد . ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة . ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به *

(الثانى) النية ولا بد لكل ليلة من نية معينة جازمة ينوى فريضة صوم رمضان لله تعالى *

(الثالث) الامساك عن ايصال شئ الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم. فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة . ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل فى الاذن والاحليل وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو مايسبق إلى جوفه في المضمضة . فلا يفطر إلا إذا بالغ فى المضمضة فيفطر لانه مقصّر ـ وهو الذى أردنا بقولنا

عمداً ـ فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فانه لا يفطر *

(الرابع) الامساك عن الجماع فان جامع ناسيا لم يفطر . وان جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر *

(الخامس) الامساك عن الاستمناء وهو إخراج المنىّ قصداً بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ـ ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا أن يكون شيخا أو مالكا لاربه فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى *

(السادس) الامساك عن اخراج القىء فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القىء لم يفسد صومه . واذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فانه يفطر عند ذلك *

﴿ وأما لوازم الافطار فأربعة ﴾

(القضاء . والكفارة . والفدية . وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين)

أما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد . أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم . ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة فلا تجب إلا بالجماع وما عداه لا تجب به كفارة . والكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا *

وأما امساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر أو قصّر فيه .

ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك . والصوم فى السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق *

وأما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا *

﴿ سنن الصيام ﴾

تأخير السحور تعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة الجود فى شهر رمضان مدارسة القرآن الاعتكاف فى العشر الأخير ولا يخرج المعتكف إلا لحاجة الانسان . ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليد فى الطشت فكل ذلك قد يحتاج اليه *

﴿ أنواع الصوم ودرجاته ﴾

إعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق وأما صوم الخصوص فهو كفّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عزّ وجل بالكلية *

﴿ أسرار الصوم وشروطه الباطنة ﴾

هي ستة أمور (الاول) غضّ البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل مايذم ويكره والى كل مايشغل القلب ويلهى عن ذكر الله تعالى *

(الثانى) حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء *

(الثالث) كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله عزّ وجل بين السمع وأكل السحت فقال تعالى ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ *

(الرابع) كف بقية الجوارح عن الآثام من اليدوالرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام . فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا وقد قال صلى الله عليه وسلم (كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِن صَوْمِهِ إلاّ الجُوعُ وَالعَطَشُ) فقيل هو الذى يفطر على الحرام . وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لايحفظ جوارحه عن الآثام *

(الخامس) أن لايستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ فما من وعاء أبغض الى الله عزّ وجل من بطن ملئ من حلال - وكيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الطعام فيه مالايؤكل فى عدة

أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، واذا دفعت المعدة من ضحوة نهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها . وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ماعساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود الى الشرور . ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل . ومن جعل بين قلبه و بين صدره مخلاة من الطعام فهو عن الملكوت محجوب *

(السادس) أن يكون قلبه بعد الافطار مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها *

﴿ التطوع بالصيام ﴾

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الايام الفاضلة . وفواضل الايام بعضها يوجد فى كل سنة و بعضها يوجد فى كل شهر و بعضها فى كل أسبوع أما السنة فبعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة وكان صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان وفى الخبر (أَفْضَلُ الصِّيامِ بعد شهرِ رَمضانَ شهرُ اللهِ المحرم) لانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أجب وأرجى لدوام بركته . وفى الخبر (إذا كانَ النِّصفُ مِن شعبَانَ فَلاَ صَومَ حَتَّى رَمضانَ) ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز . ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان

يومين أو ثلاثة الا آن يوافق ورداً له . وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان *

وأما ما يتكرر فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره . ووسطه الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر *

وأما فى الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الاوقات *

واذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال فى أن يفهم الانسان معنى الصوم وان سره تصفية القلب وتفريغ الهمّ لله عز وجل *

كتاب أسرار الحج

جعل الله البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومحنا والحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وتمام الاسلام وكمال الدين . وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها *

﴿ فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة ﴾

(وشدُّ الرحال الى المساجد)

قال الله عز وجل (وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلَى كُلِّ

ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) قال قتادة لما أمر الله عز وجل ابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج نادى يا أيها الناس ان الله عزّ وجل بنى بيتا فحجوه وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ حَجَّ البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) ويروى : أن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة . وعن الحسن البصرى رضى الله عنه ان صدقة درهم فيها بمائة ألف وكذلك كل حسنة بمائة ألف . ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال (إِنَّكِ لخيرُ أرضِ اللهِ عزّ وَجلَّ وَأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ تَعالى إلىَّ وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ لَمَا خَرَجْتُ) *

وما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خيرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيما سِواهُ إلاّ المسجِدَ الحرَامَ) و بعد مدينته الأرض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية . إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (لاَ تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثَة مساجِدَ المسجِدِ الحرَامِ وَمسجِدى هذا والمسجد الأقصى) لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر *

﴿ شروط وجوب الحج ﴾

(وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

(أما الشرائط) فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام . فيصح حج الصبيّ ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليّه ان كان صغيرا . ويفعل به مايفعل فى الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر . فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة . وجميع السنة وقت العمرة * وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فالبلوغ والعقل والوقت *

(وأما شرط لزومه) فالاستطاعة . وهى نوعان (أحدهما) المباشرة وذلك له أسباب إما فى نفسه فبالصحة . وإما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدوّ قاهر . وأما فى المال فبأن يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه . وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة . وان يملك مايقضى به ديونه ، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة ان استمسك على الزاملة (وأما النوع الثانى) فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه . ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر . فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه . وان مات قبل الحج لقى الله عزّ وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج فى تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه . ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى . قال عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أكتب

فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا . وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس . لو علمت رجلا غنياوجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه . و بعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه *

وأما الاركان التى لايصح الحج دونها فخمسة . الاحرام . والطواف . والسعى بعده . والوقوف بعرفة . والحلق على قول ـ وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف *

وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة (الأوّل) الافراد وذلك أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فأحرم واعتمر *

(الثانى) القِران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج وعلى القارن دم شاة الا المكىّ (الثالث) التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بمحظورات الاحرام الى وقت الحج ثم يحرم بالحج . ويلزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن *

وأما محظورات الحج والعمرة فستة (الأوّل) اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس إزارا ورداء ونعلين . ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ولكن لاينبغي أن يغطى رأسه،وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لاتستر وجهها بما يماسه فان احرامها فى وجهها ،

(الثانى) الطيب فليجتنب كل مايعده العقلاء طيبا . فان تطيب أولبس فعليه دم شاة *

(الثالث) الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة . ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر (الرابع) الجماع . وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه . وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجّه (الخامس) مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة فهو محرم وفيه شاة . ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لأنه لاينعقد (السادس) قتل صيد البر أعنى ما يؤكل . فان قتل صيداً فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة . وصيد البحر حلال. ولاجزاء فيه*

﴿ ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر الى الرجوع ﴾

(وهى عشر جمل)

(الجملة الأولى) فى السير من أوّل الخروج الى الاحرام. وفيهامسائل:

(الأولى فى المال) ينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويردّ ماعنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرّفق بالضعفاء والفقراء . ويتصدق بشئ قبل خروجه . فان اكترى فليظهر للمكاري كل مايريد أن يحمله من قليل أو كثير ليحصل رضاه فيه *

(الثانية فى الرفيق) ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه

ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه فيودّعهم ويلتمس أدعيتهم والسنة فى الوداع أن يقول أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر (فى حِفظِ اللهِ وكَنَفِهِ زَوَّدَكَ اللهُ التّقوَى وغَفرَ ذَنبَكَ وَوَجَّهَكَ الخيرَ أينَما كُنتَ) *

(الثالثة فى الخروج من الدار) ينبغى اذا هم بالخروج أن يصلى ركعتين فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص وقال : اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب إحفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد *

(الرابعة اذا حصل على باب الدار) قال بسم الله توكلت على الله لاحول ولا قوة الا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذِل أو أذَل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علىّ اللهم انى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيّك *

(الخامسة في الركوب) فاذا ركب قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وانا الى ربنا لمنقلبون *

﴿ الجملة الثانية فى آداب الاحرام ﴾

(من الميقات الى دخول مكة)

(الأدب الأوّل) أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام أعنى اذا انتهى الى الميقات الذى يحرم الناس منه ويتم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة *

(الثانى) أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين ويتطيب فى ثيابه وبدنه *

(الثالث) أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا أو يبدأ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو أفرادا كما أراد ويقول : لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك لبيك بحجة حقا تعبداً ورقا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد *

(الرابع) يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لايبح حلقه فانه لاينادى أصم ولا غائبا ـ كما ورد فى الخبر ـ وكان صلوات الله عليه اذا أعجبه شئ قال (لَبَّيْكَ إنّ الْعَيشَ عَيشُ الآخرَةِ) *

﴿ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف ﴾

يستحب أن يغتسل بذى طوى . واذا وقع بصره على البيت فليقل

لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم هذا بيتك عظّمته وكرّمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزدمن حجّه براً وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم . ثم لايعرج على شئ دون الطواف ـ وهو طواف القدوم ـ الا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف *

﴿ الجملة الرابعة فى الطواف ﴾

فاذا أراد افتتاح الطواف اما للقدوم واما لغيره فينبغى أن يراعى أموراً ستة (الأوّل) أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمطاف وستر العورة . فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام . وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهوأن يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره . ويقطع التلبية عندابتداء الطواف ويشتغل بالادعية المروية *

(الثانى) اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود ، وليتنحّ عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمرّ بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه . وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل *

(الثالث) أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف بسم الله

والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف *

(الرابع) أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشي فى الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الاسراع فى المشي مع تقارب الخطا . وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد . والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة ـ هكذا كان القصد أوّلا قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة . والأفضل الرمل مع الدنوّ من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل . فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت فى المزدحم وليمش أربعاً . وان أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب . وان منعه الزحمة أشار باليد وقبل . وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان *

(الخامس) اذا تمّ الطواف سبعاً فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدّعوة وليلزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار اللهم هذا مقام العائذ بك من النار وليدع بحوائجه الخاصة ويستغفر من ذنوبه *

(السادس) اذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلى خلف المقام ركعتين . وهما ركعتا الطواف . وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الأخرى والأولى *

﴿ الجملة الخامسة فى السعى ﴾

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا فاذا انتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجا فى حضيض الجبل ثم يسعى بينه وبين المروة سبع مرات ـ والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف *

﴿ الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله ﴾

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . واذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرماً الى اليوم السابع من ذى الحجة . فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدوّ منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر ، فينبغي أن يخرج الى منى ملبيا ويمكث هذه الليلة بمنى فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير ـ جبل ـ سار الى عرفات . وليغتسل للوقوف ويجمع بين الظهر والعصر بأذان واقامتين وقصر الصلاة . وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عزّ وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى . وليدع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلحّ فى الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شئ *

﴿ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج ﴾

إذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار فاذا بلغ المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء قاصراً لها بأذان واقامتين ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة . ويتزوّد الحصا منها ففيها أحجار رخوة فيأخذ سبعين حصاة فانها بقدر الحاجة ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في المسير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام ـ وهو آخر المزدلفة ـ فيقف ويدعو الى الاسفار ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسّر فيستحب له أن يحرّك دابته حتى يقطع عرض الوادى ـ وان كان راجلا أسرع فى المشي ثم اذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهى الى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة ويرمى بعد طلوع الشمس سبع حصيات رافعا يده مستقبلا القبلة أو الجمرة ـ قائلا مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك . ثم ليذبح الهدى ان كان معه ـ والأولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك واليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابراهيم ـ والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة والضأن أفضل من المعز . والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء . وليأكل منه ان كان من هدى التطوّع . ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء [1] والعجفاء [2]

---

(١) أى المقطوعة الاذن (٢) المهزولة

ثم ليحلق بعد ذلك . ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد . ثم يفيض الي مكة ويطوف كما وصفناه ـ وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر . وأفضل وقته يوم النحر ولا تحل له النساء الى أن يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى . وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج *

وأسباب التحلل ثلاثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين . ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح . ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف *

ثم اذا فرغ من الطواف عاد الي منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى . فاذا أصبح اليومَ الثانىَ من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى ورمي اليها بسبع حصيات . فاذا تعداها وقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا . ويرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ـ ثم هو مخير بين المقام بمنى

وبين العود الى مكة ـ فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلاشئ عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى يوم النفر الثانى احدى وعشرين حجرا كما سبق . وفى ترك المبيت والرمى إراقة دم وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام فى مسجد الخيف فان فضله عظيم *

﴿ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع ﴾

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام ـ كماسبق فى الحج ـ ويحرم بالعمرة من ميقاتها وينوى العمرة ويلبى ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه . وقد تمت عمرته ـ والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر شرب ماء زمزم وليرتو منه حتى يتضلع *

﴿ الجملة التاسعة فى طواف الوداع ﴾

مهما عنّ له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز أوّلا أشغاله وليشدّ رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت . ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع . فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرّع قائلا : اللهم أصبحنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى . وأحسن

منقلبي . وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني . واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير *

﴿ الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها ﴾

من قصد زيارة المدينة فليصلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا . وليغتسل قبل الدخول . وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه . فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما ويقصد المسجد ويصلي فيه بجنب المنبر ركعتين ثم يأتي قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه . وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من الساريةالتي في زاوية جدار القبر . وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله فان المسّ والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول : السلام عليك يارسول الله السلام عليك يانبيّ الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك ياحبيب الله السلام عليك ياصفوة الله السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك ياخاتم النبيين السلام عليك يارسول رب العالمين السلام عليك ياقائد الخير السلام عليك يافاتح البر السلام عليك يانبيّ الرحمة السلام عليك ياهادي الأمة السلام عليك وعلى أهل بيتك وأصحابك الطيبين . جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك أفضل وأكمل ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة

وجاهدت عدوّك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرّم وعظم . ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع أيضا ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه . ويقول السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبيّ عن دينه . ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع . ويستحب له أن يأتى أحدا ويزور قبور الشهداء وأن يأتى البقيع ويزور خياره . وأن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه . وان أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الخدمة فلها فضل عظيم . ثم إذا عزم على الخروج من المدينة فيستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة ويسأل الله تعالى أن يرزقه العودة اليه ثم يصلى ركعتين فى الروضة فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى ثم اليمنى وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه *

﴿ سنن الرجوع من السفر ﴾

يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون . فاذا أشرف على مدينته يحرّك الدابة . ويرسل الى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة ولا ينبغى أن

يطرق أهله ليـلا . واذا دخل البلد فليقصد المسجد أوّلا وليصل ركعتين . واذا استقرّ فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة حرمه وقبر نبيه صـلى الله عليه وسـلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود راغبا فى الآخرة متأهباً للقاء رب البيت بعد لقاء البيت *

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ﴾

(دقائق الآداب وهى سبعة)

(الأوّل) أن تكون النفقة حلالا والهمّ مجردا لله تعالى وتعظيم شعائره. ومن حج عن غـيره فينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله تعالى ومعاونة أخيه المسلم باسـقاط الفرض عنه لا ان يتخذ ذلك مكسبه ومتجره ليتوصـل بالدين الى الدنيا فيطلب الدنيا بعمل الآخرة بل ليتوصـل بالدنيا الى الدين أى التمـكن من الحج والزيارة فيه *

(الثانى) التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد . و بذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عزّ وجل * قال ابن عمر من كرَمِ الرجل طيبُ زاده فى سفره *

(الثالث) ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن (والرفث) اسم جامع لـكل لغو وفحش من الـكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى الى المحظور محظور (والفسق) اسم جامع لـكل خروج عن طاعة الله

عزّ وجل (والجدال) هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويناقض حسن الخلق . فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عزّ وجل . ويلزم حسن الخلق . وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى *

(الرابع) أن يجتنب ذى المترفين المتكبرين فلا يميل الى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى ديوان المتكبرين ويخرج عن حزب الصالحين وفى الحديث (إنَمَا الحاجُ الشَّعِثُ التَّفِثُ) يقول الله تعالى (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) والتفث الشعث والاغبرار . وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والاظفار

(الخامس) أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق ولا يقف عليها الوقوف الطويل . وينزل أحيانا عنها احسانا اليها *

(السادس) أن يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا . وليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عزّ وجل (لَنْ يَنالَ اللهَ لحومُها وَلاَ دِماؤُها وَلكِنْ يَنالهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) *

(السابع) أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهَدىٍ وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن ان أصابه ذلك . فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب . فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل . ويقال من

علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصى . وان يتبدل باخوانه البطّالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة *

* طريق الاعتبار بأعمال الحج الباطنة *

(والتذكر لأسرارها ومعانيها)

فى كل واحد من أعمال المناسك تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر إذا انفتح بابها انكشف لكل خارج من أسرارها مايقتضيه صفاء قلبه وغزارة فهمه وقد شرّف الله البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ماحواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره . ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوّار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت خضوعا لجلاله . مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتمّ فى اذعانهم وانقيادهم . وفى الاحرام والتلبية اجابة نداء الله عزّ وجل . وفى دخول مكة تذكر الانتهاء إلى حرم الله فليخش أن لا يكون أهلا للقرب وليرج الرحمة . وفي مشاهدة البيت احضار عظمة البيت فى القلب وتقدير مشاهدته لرب البيت لشدة تعظيمه اياه . وفى الطواف بالبيت تشبه بالملائكة المقرّبين الحافين حول العرش الطائفين حوله وما القصد طواف الجسم بل طواف القلب بذكر الرب . وفى التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة والالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب

من أذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لاملجأ له منه إلا اليه وأنه لايفارق ذيله إلا بالعفو عنه . وفى السعى بين الصفا والمروة مضاهاة تردد العبد بفناء الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى اظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أورد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية ان لم يرحم فى الأولى . وفى الوقوف بعرفة ورؤية ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات باختلاف اللغات تذكر اجتماع الأمم فى عرصات القيامة ، وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وفى تذكر ذلك الزام القلب الضراعة والابتهال الى الله عز وجل ورجاء الحشر فى زمرة الفائزين المرحومين . وتحقيق الرجاء بالاجابة فالموقف شريف . والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب النقية . ولا ينفك الموقف عن طبقات من الصالحين وأرباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجرّدت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم . وفى رمى الجمار انقياد للأمر اظهاراً للرق والعبودية وقصد رمى وجه الشيطان وقصم ظهره . وفى زيارة المدينة ومشاهدتها تذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل

وسنته وجاهد عدوّه وأظهر بها دينه الى أن توفاه الله عز وجل. وأنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة . وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة . وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم *

كتاب آداب تلاوة القرآن

قد امتن الله على عباده بنبيه المرسل . وكتابه المنزل . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على أهل الأفتكار . طريق الاعتبار . بما فيه من القصص والأخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم . والصراط المستقيم . بما فصل فيه من الأحكام . وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور . وبه النجاة من الغرور . وفيه شفاء لما فى الصدور . من تمسك به فقد هُدِى . ومن عمل به فقد فاز قال تعالى (إنا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنا له لحافِظُون) ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه . والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك مالابد من بيانه وتفصيله *

﴿ فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (مَن قرَأ القُرآنَ ثمّ رَأى أنّ أحداً أُوتِىَ أفضلَ مِمَّا أُوتِىَ فقدِ آستَصغرَ ما عظَّمهُ اللهُ تعالى) وقال صلى الله عليه

وسلم (أفضلُ عبادةِ أُمتى تِلاوَةُ القرآنِ) وقال صلى الله عليه وسلم (خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وَعلَّمَهُ) وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الأوّلين والآخرين . وقال عمرو بن العاص : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوّة بين جنبيه إلا أنه لايوحى اليه *

وقد جاء فى ذم تلاوة الغافلين قوله صلى الله عليه وسلم (ما آمَنَ بالقرآنِ مَنِ استحلَّ محارِمَهُ) وقوله صلى الله عليه وسلم (إقرأ القرآنَ مانهاك فإنْ لمْ ينهَكَ فلَستَ تقرَؤُهُ) وقال أنس (رُبَّ تالٍ للقرآنِ والقرآن يلعنُهُ) وقال ابن مسعود : أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به) وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول (ألا لعنة الله على الظالمين) وهو ظالم نفسه (ألا لعنة الله على الكاذبين) وهو منهم *

﴿ ظاهر آداب التلاوة ﴾

(الأدب الأوّل فى حال القارئ) وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالسا على هيئة التكبر . فان قرأ على غير وضوء أو كان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى (الذينَ يَذكرُونَ اللهَ قِياماً وقُعوداً وَعلى جُنوبِهِمْ وَيَتفكّرُونَ فى خَلْقِ السَّمواتِ وَالأرضِ) فأثنى على الكل ولكن قدّم القيام فى الذكر

ثم القعود ثم الذكر مضطجعا *

(الثانى فى مقدار القراءة) وللقرّاء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار والمأثور عن عثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم انهم كانوا يختمون القرآن فى كل جمعة يقسمونه سبعة أحزاب *

(الثالث الترتيلُ) هو المستحب فى هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر . والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءته مفسرة حرفا حرفا . قال ابن عباس رضى الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحبّ الىّ من أن أقر أالقرآن كله هذرمة . وجلىّ أن الترتيل والتؤدة أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً فى القلب من الهذرمة والاستعجال *

(الرابع البكاء) وهو مستحب مع القراءة ومنشؤه الحزن وذلك أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لامحالة ويبكى *

(الخامس) أن يراعى حق الآيات فاذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالى . ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وقد قيل فى كماها إنه يكبّر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم *

(السادس) أن يقول فى مبتدأ قراءته أعوذ بالله السميع العليم من

الشيطان الرجيم . وفى أثناء القراءة إذا مرّ بآية تسبيح سبّح وكبر . واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر . وان مرّ بمرجوّ سأل أو بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه *

(السابع) الاسرار بالقراءة أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه . فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش على مصل فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر . ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه . ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ويزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله . فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل *

(الثامن) تحسين القراءة وترتيبها من غير تمطيط مفرط يغيّر النظم . فذلك سنة . وفى الحديث (زَيِّنوا القرآنَ بِأصواتِكُمْ) وفى آخر (ليس منّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقرآنِ) فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة . واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبى موسى فقال (لَقد أُوتىَ هذا من مزامير آلِ داودَ) ويروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن *

﴿ أعمال الباطن فى التلاوة — وهى سبعة ﴾

(الأوّل) فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى إيصال كلامه الى أفهام خلقه *

(الثانى) التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن

يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن مايقرؤه ليس من كلام البشر . ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله . فاذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والارض وما بينهما من الجنّ والانس والدواب والاشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد . وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته . وبين نقمته وسطوته . ان أنعم فبفضله . وان عاقب فبعدله . فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام *

(الثالث) حضور القلب وترك حديث النفس والتجرد له عند قراءته وصرف الهم اليه عن غيره . كان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذى يتلوه ويستبشر به ويستأنس لا يغفل عنه . وفى القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالى أهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره *

(الرابع) التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سنّ فيه الترتيل لان الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علىّ رضى الله عنه لاخير فى عبادة لافقه فيها ولا في قراءة لاتدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف امام . وروى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قام ليلة بآية يرددها *

(الخامس) التفهم وهو أن يستوضح عن كل آية مايليق بها إذ القرآن

يشتمل على ذكر صفات الله عزّ وجل وذكر أفعاله . وذكر أحوال الأنبياء وأحوال المكذبين لهم وانهم كيف أهلكوا . وذكر أوامره وزواجره . وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عزّ وجل فكقوله (ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيرُ) وكقوله تعالى (اَلملِكُ القدُّوسُ السَّلامُ المؤمنُ المُهيمنُ العزيزُ الجبَّارُ المتكبّرُ) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها . وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عزّ وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته . فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ . ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عزّ وجل (أفرَأيتمْ مَا تحرُثونَ . أفرَأيتمْ ما تُمنونَ . أفرأيتمُ الماءَ الَّذى تَشربونَ . أفرأيتم النَّارَ الَّتى تُورُون) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنىّ بل يتأمل فى المنىّ وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها . ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى (أوَلَمْ يَرَ الانسانُ أنَّا خَلقناهُ مِنْ نُطفَةٍ فإذا هوَ خَصيمٌ مُبينٌ) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى أعجب العجائب وهو الصنعة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة

ويرى الصانع . وأما أحوال الانبياء عليهم السلام فاذا سمع منها أنهم كذّبوا وضربوا وقتل بعضهم ثم سمع نصرتهم فى آخر الأمر فهم قدرة الله عزّ وجل وارادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه *

(السادس) التخلى عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن . ومن حجب الفهم أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها عن مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عزّ وجل . فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه . فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنىّ تنكشف له المعانى . وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس *

(السابع التخصيص) وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فان سمع أمراً أو نهياً قدّر أنه المنهىّ والمأمور وان سمع وعداً أو وعيداً فكذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء وعلم أن السمر غير مقصود . وانما المقصود أن تعتبر به وتأخذ من بضاعته ماتحتاج اليه . فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبىّ صلى الله عليه وسلم وأمته . ولذلك قال تعالى (ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه

عليه من أحوال الانبياء وصبرهم عل الايذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى . وكيف لايقدر هـذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين. ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى (واذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليكمْ وَما أنزلَ عَليكم مِنَ الكِتابِ والحكمَةِ يعِظُكم بهِ) واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد كما قال تعالى (لِأُنْذِرَكم بهِ وَمنْ بَلَغَ) قال محمد القرظى : من بلغه القرآن فكانما كلمه الله : واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه . ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبَلِ ربنا عزّ وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات وننفذها فى الطاعات *

(الثامن التأثر) وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره . ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن . فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عزّ وجل (وَإِنّي لغفّارٌ) ثم اتبع ذلك بأربعة شروط (لِمنْ تابَ وآمَنَ وعمِلَ صالِحًا ثمّ اهتدَى) وقوله تعالى (والعَصرِ إنّ الإنسانَ لَفى خُسرٍ إلاّ الّذينَ آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ وَتَواصَوْا بالحقّ وتواصوْا بالصّبر) ذكر أربعة شروط . وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى (إنّ رَحمَةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنينَ)

فالاحسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرآن من أوّله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن . والا كان حظه من التلاوة حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (ألاَ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالمينَ) وفى قوله تعالى (كَبُر مَقتاً عِندَ الله أن تقولوا مالاَ تَفعَلونَ) وفى قوله (فأعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنا ولم يُرِدْ إلاّ الحياةَ الدُّنيا) وفى قوله تعالى (وَمن لم يَتُبْ فأُولئكَ هُمُ الظَّالمونَ) إلى غير ذلك من الآيات . فالقرآن يراد للعمل به وأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى . وتلاوة القرآن حق تلاوته ـ هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ـ وحظ العقل تفسير المعانى ـ وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ *

كتاب الاذكار والدعوات

﴿ فضيلة الذكر ﴾

من الآيات قوله سبحانه تعالى (فاذكُرُونى أذكُرْكُم) وقال تعالى (اُذكُرُوا اللهَ ذِكراً كَثيرًا) وقال تعالى (الَّذينَ يَذكُرُونَ اللهَ قِياماً وقُعُوداً وعلى جُنوبِهِمْ) وقال تعالى (فإذا قَضيتُمُ الصَّلاةَ فاذكُرُوا اللهَ قياماً وقعُوداً وعلى جُنوبِكم) وقال ابن عباس أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى

(واذكُرْ ربَّكَ فى نفسِكَ تضرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ منَ القولِ بالغُدُوِّ والآصالِ ولاَ تكُنْ منَ الغافلينَ) وقال تعالى فى ذم المنافقين (ولا يذكرُونَ اللهَ إلاّ قليلاً) *

ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم (يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ أنا مَعَ عبدِى ما ذكَرَنِى وتحرَّكتْ بِى شفَتاهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أحبَّ أن يَرتعَ فى رياضِ الجنَّةِ فليُكثِرْ ذِكرَ اللهِ عزّ وجلّ) وسئل صلى الله عليه وسلم * أى الاعمال أفضل فقال (أن تَموتَ ولِسانُكَ رَطْبٌ بِذِكرِ اللهِ عز وجلَّ) وقال صلى الله عليه وسلم (قال اللهُ تبارَكَ وتعالى إذا ذكَرَنى عبدِى فى نفسِهِ ذكرتُهُ فى نَفسى وإذا ذكَرَنِى فى مَلأٍ ذكرتُهُ فى مَلأٍ خيرٍ مِنْ مَلائِهِ وإذا تقرَّبَ مِنّى شِبراً تقرَّبْتُ مِنهُ ذِراعاً) الحديث *

ومن الآثار قول الحسن : الذكر ذكران ذكر الله عزّ وجل بين نفسك وبين الله عزّ وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ماحرم الله عزّ وجل *

﴿ فضيلة مجالس الذكر ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جلَسَ قومٌ مجلِساً يذكُرُونَ اللهَ عزّ وجلّ إلاّ حفَّتْ بهِمْ الملائكةُ وغشِيَتْهُمُ الرَّحمةُ وذكَرَهمُ اللهُ تعالى فيمنْ عندَهُ) *

﴿ فضيلة التهليل ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (أفضلُ ما قلتُ أنَا والنَّبيُّونَ مِنْ قَبلى لاإلهَ

إلاّ اللهُ وَحدَهُ لاشريكَ لهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (منْ قال لاإلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ له المُلكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلّ شيءٍ قَديرٌ كلَّ يومٍ مائة مرَّةٍ كانت لهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقابٍ وكتبتْ لهُ مائةُ حسنةٍ ومُحيَتْ عنهُ مائةُ سيئَةٍ) الحديث *

﴿ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ سبَّحَ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ وحَمِدَ ثلاثاً وثلاثينَ وكبَّرَ ثلاثاً وثلاثينَ وخَتَمَ المائةَ بلاإلهَ إلاّ اللهُ وحدَه لاشريكَ لهُ لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلّ شيءٍ قديرٌ غُفرَتْ ذُنوبُهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ قالَ سبحانَ اللهِ وَبحمدِهِ فى اليومِ مائةَ مرَّة حُطَّتْ خطاياهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (أحبُّ الكلامِ إلَى اللهِ تعالى أربعٌ سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولاإلهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكبرُ لا يَضُرُّكَ بأيّهِنَّ بدَأْتَ) وقال صلى الله عليه وسلم (كلمتانِ خفيفتانِ عَلى اللّسانِ ثقيلَتانِ في الميزانِ حبيبتانِ إلى الرّحمنِ سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ * سبحانَ اللهِ العظيمِ) *

﴿ سر فضيلة الذكر ﴾

ان قلت مابال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقة فيها فاعلم أن تحقيق هذا لايليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذى يسمح بذكره في علم المعاملة

أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى . بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائرالعبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية . وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الانس والحب . وآخره يوجب الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحب *

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله تعالى (وإذا سألَكَ عِبادى عنّى فإنّى قريبٌ أُجيبُ دَعوةَ الدّاعِ إذا دعانِى فليستَجيبوا لِى) وقال تعالى (أُدعُوا ربَّكمْ تضرُّعاًوخُفيَةً إنّهُ لاَ يُحِبُّ المُعتدين) وقال تعالى (وقال رَبُّكمُ آدْعونى أستَجِبْ لكمْ) وقال تعالى (قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادْعُوا الرّحمنَ أيّاًمَا تَدْعُوا فلهُ الأسماءُ الحُسنى) وقال صلى الله عليه وسلم (الدُّعاءُ مُخُّ العبادَةِ) وقال صلى الله عليه وسلم (سلُوا اللهَ تعالى مِنْ فضلِهِ فإنهُ تعالى يحبُّ أنْ يُسأَلَ وأفضلُ العبادةِ انتظارُ الفرَجِ)

﴿ آداب الدعاء ﴾

(الاول) أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الاشهر ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من الليل قال تعالى (وَبالأسْحارِ هُمْ يَستغفِرُونَ) *

(الثانى) أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال زحف الصفوف فى سبيل

الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة وخلف الصلوات وبين الأذان والاقامة وحالة السجود . وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات الى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات . ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عزّ وجل *

(الثالث) أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مدّ يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . وقال ابن عباس : كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضمّ كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه . فهذه هيآت اليد . ولا يرفع بصره الى السماء *

(الرابع) خفض الصوت بين المخافتة والجهر قالت عائشة فى قوله تعالى (ولا تَجهَرْ بِصلاتِكَ ولا تُخافِتْ بِها) أى بدعائك وقد أثنى تعالى على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال (إذْ نادَى رَبهُ نِداءً خفِيًّا) وقال تعالى (أُدعُوا رَبكُمْ تَضرُّعاً وَخُفْيَةً) *

(الخامس) أن لا يتكلف السجع فى الدعاء والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى فى دعائه فيسأل مالاتقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء *

(السادس) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال تعالى (أُدعوا رَبَّكُمْ تَضرُّعاً وخُفْيَةً) *

(السابع) أن يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدّق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم (لاَ يَقُلْ أحدكم إذا دعا اللهُمَّ اغفِرْلى إنْ شِئْتَ اللهمّ ارْحمنِى إنْ شِئتَ لِيَعْزِمِ المسألةَ فانّهُ لا مُكرِهَ لهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (إذادَعا أحدُكم فليُعظّمِ الرَّغبةَ فإنّ اللهَ لاَ يتَعاظَمُهُ شيءٌ) وقال صلى الله عليه وسلم (اُدعوا اللهَ وأنتمْ موقِنونَ بالإجابةِ واعلموا أنّ الله عزّ وجلّ لاَ يستَجيبُ دَعاءً منْ قلْبٍ غافِلٍ) *

(الثامن) أن يلحّ فى الدعاء ويكرره ثلاثا وأن لا يستبطئ الاجابة

(التاسع) أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى (ولا يبدأ بالسؤال) ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويختم بها أيضاً *

(العاشر) وهو الأدب الباطن وهو الأصل فى الاجابة ـ التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عزّ وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة *

﴿ فضيلة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى (إنّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلونَ على النَّبىّ ياأيُّهَا الَّذينَ آمنوا صلُّوا عليهِ وسلّمُوا تسليماً) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ صلَّى عَلىّ مِنْ اُمَّتى كُتِبَ لهُ عَشْرُ حَسناتٍ) وقيل يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا (اللهمّ صلّ على مُحمَّدٍ عبدِكَ وعلى آلهِ وأزواجِهِ وذرّيّتِه كما صلَّيتَ على إبرَاهيمَ وآلِ إبراهيمَ وبارِكْ على محمدٍ وأزواجِهِ وذرّيّتِه كما باركْتَ عَلى إبرَاهيمَ وآلِ إبراهيمَ إنّكَ حَميدٌ مجيدٌ) وروى أن عمر

رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال عزّ وجل (مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ اللهَ) . بأبى أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى (عَفا اللهُ عَنكَ لِمَ أذِنتَ لهمْ) بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودّون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى أعطاه الله حجراً تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمى يارسول الله لئن كان سليمان أعطاه الله الريح غدوّها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلّمتك وهى مشوية فقالت الذراع لاتأكلنى فانى مسمومة بأبى أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ولقد لبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك فصلى الله عليك وسلم *

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله عزّ وجل (والَّذِينَ إذا فَعلوا فاحِشةً أو ظلمُوا أنفُسَهُمْ ذكَرُوا اللهَ فاستَغْفَرُوا لِذنوبِهِمْ) وقال تعالى (ومَنْ يَعمَلْ سُوأً أو يَظلِمْ نَفسَهُ ثمَّ يَستَغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غفوراً رَحِيما) وقال تعالى (فَسبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ واستَغفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوّابا) وقال تعالى (والمستَغفِرِينَ بالأسحَارِ)وقال تعالى (كانوا قَليلاً منَ اللّيل ما يهجعُونَ وبالاسحارِ هم يستغفِرُونَ) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول (سُبحانكَ اللهمَّ وبحمدِكَ اللهمَّ اغفرْ لي إنّكَ أنت التّوّابُ الرَّحيمُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَن أكثرَ مِنَ الاستغفارِ جعلَ اللهُ لهُ مِن كلّ هَمٍ فرَجاً ومِن كلّ ضِيقٍ مخْرَجاً ورزَقَهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسبُ) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّي لأستغفِرُ اللهَ تعالى وأتوبُ اليهِ في اليومِ سبعينَ مرَّةً) وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار (اللهمَّ اغفرْ لي ماقدّمتُ وما أخّرْتُ وما أسررْتُ وما أعلنت وما أنتَ أعلمُ بهِ مِنّي أنتَ المقدّمُ وأنتَ المؤخّرُ وأنتَ على كلّ شيءٍ قديرٌ) وعن الفضيل رحمه الله : استغفار بلا اقلاع توبة الكذّابين وعن رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ٭

وأما أوراد الصباح والمساء وخلف الصلوات وفي السحر فلنا فيها كتاب مستقل فليرجع اليه من أحبَّ ذلك ٭

﴿ آداب النوم ﴾

(الأوّل) الطهارة والسواك (الثانى) أن يعد طهوره وسواكه وينوي القيام للعبادة عند التيقظ (الثالث) أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض من النوم (الرابع) أن ينام تائبا من كل ذنب سليمَ القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ (الخامس) أن يقتصد فى تمهيد الفرش الناعمة (السادس) أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا اذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل (السابع) أن ينام مستقبل القبلة (الثامن) الدعاء عند النوم بما ورد ومنه قراءة الاخلاص والمعوّذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وآية الكرسى والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد كذلك والتكبير كذلك (التاسع) أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث وليتحقق أنه يتوفى على ماهو الغالب عليه من حبّ الله وحبّ لقائه أو حبّ الدنيا ويحشر على مايتوفى عليه (العاشر) الدعاء عند التنبه وليقل أوّلا الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ثم ليقرأ خواتم آل عمران ـ إن فى خلق السموات والأرض . الآيات وليسبّح عشراً وليحمد كذلك وليكبّر كذلك وليهلّل كذلك . قالت عائشة رضي الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته قال (اللّهمَّ رَبَّ جِبرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَاسرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحكُمُ بَينَ

عِبادِكَ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ اهدِنِي لِما اختُلِفَ فِيهِ منَ الحقّ باذنِكَ إنّك تَهدِي مَنْ تَشاءُ إلى صِراطٍ مُستقِيمٍ) ثم يفتتح الصلاة ويصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر .وكان ربما جهر بالقراءة وربما أسر . وأكثر ما صح عنه فى قيام الليل ثلاث عشرة ركعة *

﴿ بيان أن الأوراد للمتجرد للعبادة ﴾

إعلم أن الأوراد والأذكار المروية والوظائف الليلية والنهارية انما تستحب للمتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا بحيث لو ترك العبادة لجلس بطّالا . وأما العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة. ويحتاج الى مدة لها لامحالة فان أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل مايشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها . ويدل على ذلك ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى . وتأملُ ما قال الله تعالى وقال رسوله . وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة وربّ مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعاً . وأما العامىّ والمتعلم فحضوره مجالس العلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد . وكذلك المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة

حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لاينسى ذكر الله تعالى فى صناعته *

﴿ فضيلة قيام الليل ﴾

من الآيات قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) وقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل) وقوله عز وجل (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقوله سبحانه (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم (ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه) وقوله صلوات الله عليه (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم) *

﴿ الأسباب المسهلة لقيام الليل ﴾

منها أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ومنها أن لايترك القيلولة بالنهار فانها سنة الاستعانة على قيام الليل ومنها أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والأخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان ومنها ـ وهو أشرف البواعث ـ الحب لله وقوة الايمان بأنه فى قيامه لايتكلم

بحرف إلا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا أحب الله تعالى أحب لامحالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام*

﴿ بيان لذة المناجاة عقلاً ونقلاً ﴾

لاينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب انعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لايأتيه النوم طول ليله فان قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر اليه وأن الله تعالى لا يرى فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك أيضاً معلوما عنده فان قلت إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم أنه ان كان يعلم أنه لايجيبه ويسكت عنه فقد بقيت أيضاً لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به . وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه ، والرجاء فى حق الله تعالى أصدق وما عند الله أبقى وأنفع مما عند غيره وكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات وأما النقل فيشهد له أحوال قوّام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل

لبعضهم كيف أنت والليـل قال ماراعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال علىّ بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزننى شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس علىّ وقال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذّ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليـل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال بعضهم ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليـل من حلاوة المناجاة . وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هى من الجنـة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى الجماعة وقيـل لبعضهم كيف الليـل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته اذا جاء وأغتم بفجره اذا طلع ماتم فرحى به قط[1]

---

(١) ولتأييد هذا البحث الذى كان يتحدث به المؤلف فى دروسه العامة نذكر ما كان نقـله المؤلف أيضا فى تأليف آخر عن الشمس ابن القيم الدمشقى فى اغاثة اللهفان وصورته : قال ابن القيم حقيقة المرء قلبه وروحه ولا صلاح له الا بتوحيد ربه وعبادته وخوفه ورجائه وفى ذلك أعظم لذة المرء وسعادته ونعيمه اذ ليس فى الـكائنات شيء غير الله عزّ وجل يسكن القلب اليه ويطمئن به ويأنس به ويتنعم بالتوجه اليه فنفس الايمان به ومحبته وعبادته واجلاله وذكره هو غذاء الانسان وقوته وصلاحه وقوامه كما دلت عليه السنة والقرآن وشهدت به الفطرة لا كما يقوله من قل نصيبه من

﴿ طرق القسمة لأجزاء الليل ﴾

احياء الليل له سبع مراتب (الأولى) احياء كل الليل وهو شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار . اشتهر ذلك عن أربعين من التابعين (الثانية) أن يقوم نصف الليل *

التحقيق أن عبادته وذكره تكليف ومشقة لمجرد الامتحان أولأجل مجرد التعويض بالثواب أو لمجرد رياضة النفس وتهذيبها ليرتفع عن درجة البهيم بل عبادته ومعرفته وتوحيده وشكره قرة عين الانسان وأفضل لذة الروح والجنان وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقة والكلفة بالقصد الأول وان وقع ذلك ضمنا فى بعضها لاسباب اقتضته لابد منها هي من لوازم هذه النشأة فأوامره سبحانه وحقه الذى أوجبه على عباده وشرائعه لهم هى قرة العيون ولذة القلوب ونعيم الارواح وسرورها وبه سعادتها وفلاحها وكمالها فى معاشها ومعادها بل لاسرور لها ولا لذة فى الحقيقة الا بذلك كما قال تعالى (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وهدى وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله وكذا قال غير واحد ولا يقال قد وقع تسمية ذلك تكليفا فى القرآن كقوله لايكلف الله نفسا الا وسعها لانا نقول انما جاء ذلك فى جانب النفي ولم يسم سبحانه أوامره ووصاياه وشرائعه تكليفا قط بل سماها روحا ونورا وشفاء وهدى ورحمة وحياة وعهدا ووصية ونحو هذا انتهى

(الثالثة) أن يقوم ثلث الليل من النصف الأخير (الرابعة) أن يقوم سدس الليل الأخير أو خمسه (الخامسة) أن لا يراعى التقدير فينام و يقوم فى أجزاء الليل مطلقا (السادسة) أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين . وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل القيام قبل الصبح وقت السحر ولا يدركه الصبح نائما . وهذه هى الرتبة السابعة *

وأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك فى الليالى . ودل عليه قوله تعالى فى الموضعين (إنّ ربَّكَ يَعلمُ أنكَ تَقومُ أدنى مِن ثُلثَيِ اللّيلِ ونِصفَهُ وثُلثَهُ) فأدنى من ثلثى الليل كانه نصفه ونصف سدسه . فان كسر قوله (ونصفه وثلثه) كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع . وان نصب كان نصف الليل وثلثه . وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعنى الديك . وهذا يكون السدس فما دونه *

كتاب اداب الاكل

* والدعوة والضيافة *

ان الله تعالى أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدّر

الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والاعمال الصالحات بأكل الطيبات ، فشكراً له على ممرّ الأوقات *

ولما كان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب ولا طريق الى الوصول للقائه إلا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف : إن الاكل من الدين : وعليه نبه قوله تعالى (كُلوا مِنَ الطيباتِ واعمَلُوا صالِحاً) وهانحن نرشد الى وظائف الدين فى الاكل فرائضها وسننها وآدابها *

﴿ بيان مالابد للآكل من مراعاته — وهو ثلاثة أقسام ﴾

(القسم الأوّل فى الآداب المتقدمة على الأكل ـ وهي خمسة)

(الأوّل) أن يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبا فى جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين . وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال . وقدم النهى عن الأكل بالباطل على القتل تفخيما لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى (يَا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا لاتأكُلوا أموَالكُمْ بَينَكُمْ بالباطِلِ) الى قوله (ولا تَقتُلُوا أنفُسكُمْ) فالأصل فى الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين (الثانى) غسل اليد لأنها لا تخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال فغسلها أقرب الى النظافة والنزاهة (الثالث) أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل . ومن ضرورة هذه

النية أن لا يمد اليد الى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد مالابد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب (الرابع) أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام (الخامس) أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده فان خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده *

﴿ القسم الثانى فى آدابه حالة الأكل ﴾

وهو أن يبدأ ببسم الله فى أوّله وبالحمد لله فى آخره ويجهر به ليذكّر غيره ويأكل باليمنى ويصغر اللقمة ويجوّد مضغها وما لم يبتلعها لا يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة فى الاكل وأن لا يذم مأكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب مأكولا كان اذا أعجبه أكله والا تركه وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فله أن يجيل يده فيها ولا يضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا مايؤكل به ولا يمسح يده بالخبز ولا ينفخ فى الطعام الحار بل يصبر الى أن يسهل أكله ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا يجمع فى كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ماله عجم وثفل وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه فى القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب فى أثناء الطعام الا اذا غصّ بلقمة أو صدق عطشه *

(وأما الشرب) فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشرب به

مصًّا لا عبًّا ولا يشرب قائما ولا مضطجعا وينظر فى الكوز قبل الشرب ولا يتجشى ولا يتنفس فى الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويردّه بالتسمية والكوز وكل مايدار على القوم يدار يمنة (وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله واعرابى عن يمينه فناول الاعرابى وقال الأيمن فالايمن . ويشرب فى ثلاثة أنفاس يحمد الله فى أواخرها ويسمى الله فى أوائلها *

﴿ القسم الثالث مايستحب بعد الطعام ﴾

وهو أن يمسك قبل الشبع ثم يغسل يده ويتخلل ويرمى المخرج بالخلال وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى (كلوا من طيّبات مارزقناكم واشكروا لله) فان أكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته واجعلنا واياه من الشاكرين وان أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ويستحب عقيب الطعام أن يقول . الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا *

﴿ آداب الاجتماع على الأكل — وهى سبعة ﴾

(الاول) أن لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سنّ أو زيادة فضل الا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي أن لا يطوّل

عليهم الانتظار اذا اشرأبّوا للاكل واجتمعوا له (الثانى) أن لا يسكتوا على الطعام ولكن يتكلمون بالمعروف (الثالث) أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة عما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد الايثار . ولا يأكل تمرتين فى دفعة الا اذا فعلوا ذلك أو استأذنهم . فان قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الاكل وقال له كل ولا يزيد فى قوله كل على ثلاث فان ذلك الحاح واضجار . فأما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن على رضى الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه (الرابع) أن لا يحوج رفيقه الى أن يقول له كل أو يتفقده في الاكل بل يحمل عن أخيه مؤنة ذلك . ولا ينبغي أن يدع شيأ مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيأ فى الوحدة ولكن يعوّد نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع * نعم لو قلل من أكله ايثاراً لاخوانه ونظراً لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد فى الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فهو حسن (الخامس) أن غسل اليد في الطست لا بأس به قال أنس اذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها . روي أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصبّ الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية أتدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله .

وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما فى أوّل نزوله عليه وقال لا يروعك ما رأيت منى فخدمة الضيف فرض (السادس) أن لاينظر الى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم *

(السابع) أن لايفعل مايستقذره غيره فلا ينفض يده فى القصعة ولا يقدّم اليها رأسه عند وضع اللقمة فى فيه واذا أخرج شيأمن فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ بيساره . ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل فقد يكرهه غيره واللقمة التى قطعها بسنه لايغمس في المرقة والخل . ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات *

﴿ فضل تقديم الطعام الى الزائرين وآدابه ﴾

تقديم الطعام الى الاخوان فيه فضل كثير . قال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل يحاسب عليها إلا نفقته على اخوانه فى الطعام فان الله أكرم من أن يسأله عن ذلك وقال علىّ رضى الله عنه لأن أجمع اخواني على صاع من طعام أحب إلىّ من أن أعتق رقبة . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول من كرم المرء طيبُ زاده فى سفره وبذله لأصحابه وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرّقون إلا عن ذواق *

(وأما آدابه) فبعضها فى الدخول وبعضها فى تقديم الطعام . أما الدخول

فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فان ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى (لا تَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاّ أن يُؤْذَنَ لكُمْ إلى طَعامٍ غَيرَ ناظِرِينَ إناهُ) يعنى منتظرين حينه ونضجه . أما إذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به وفيه اعانة لأخيه على حيازة ثواب الاطعام وهى عادة السلف . فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الاذن الرضاء لاسيما فى الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى (أوْ صَدِيقِكُمْ) قال الحسن الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب . كان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون مايجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول هكذا كنا . ومشي قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثورى وجعل يقول ذكرتمونى أخلاق السلف هكذا كانوا *

(وأما آداب التقديم) فترك التكلف أولا وتقديم ماحضر . كان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه ومن التكلف أن يقدّم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم قال بعضهم دخلنا على جابر رضى الله عنه فقدم لنا خبزاً

وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم *

(الأدب الثانى) وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيّره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما عليه فان علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح . قال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب *

(الأدب الثالث) أن يشهّى المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل *

(الأدب الرابع) أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما بل ينبغى أن يقدم ان كان فان أكل والا فيرفعه *

﴿ مسائل ﴾

(الأولى) رفع الطعام على المائدة فيه تيسير للأكل فلا كراهة فيه بل هو مباح مالم ينته الى الكبر والتعاظم . وما يقال انه بدعة فجوابه أنه ليس كل ما أبدع منهيا بل المنهىّ بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته وليس فى المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الاكل ونحوه مما لا كراهة فيه (الثانية) الاكل والشرب متكئا مكروه مضر للمعدة ومثله الاكل مضطجعا ومنبطحا (الثالثة) السنة البداءة بالطعام قبل الصلاة وفى الحديث (اذا حَضَرَ العَشاءُ والعِشاء فابدؤا بالعَشاءِ) وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه . نعم

ان كانت النفس لاتتوق الى الطعام ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة *

﴿ بيان مايخص الدعوة والضيافة ﴾

(فضيلة الضيافة)

قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضيفَهُ) . وفى أثر : لاخير فيمن لا يضيف : وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان قال (إطْعامُ الطَّعامِ وَبذْلُ السَّلامِ) وقال صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات (إطْعامُ الطّعامِ والصّلاةُ باللّيل والنَّاسُ نِيامٌ)

(أما الدعوة) فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم (أكَلَ طَعامَكَ الأبرَارُ) وفى أثر : لاتأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى : ولا يقتصر على الاغنياء خاصة بل يضم معهم الفقراء . قال صلى الله عليه وسلم (شَرُّ الطّعامِ طَعامُ الوَليمَةِ يُدْعى إليها الأغنِياءُ وَيُحرَمُ مِنها الفقرَاءُ) وينبغى أن لا يهمل أقاربه فى ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم . وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فان فى تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين . وينبغى أن لايقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان وادخال السرور على قلوب المؤمنين . وينبغى أن لايدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب . وينبغى أن لايدعو الا من يحب اجابته *

(وأما الاجابة) فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع

ولها خمسة آداب (الأوّل) أن لا يميز الغنيّ بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهيّ عنه (الثانى) أن لا يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لايمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لاينبغى أن يمتنع لأجلها (الثالث) أن لايمتنع لكونه صائماً بل يحضر فان كان يَسُرُّ أخاه افطارُه فليفطر . وليحتسب فى افطاره بنية ادخال السرور على قلب أخيه مايحتسب في الصوم وأفضل . وذلك فى صوم التطوع . وان تحقق أنه متكلف فليتعلّل . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالافطار . فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم . ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب *

(الرابع) أن يمتنع عن الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة أو كان يقام فى الموضع منكر[1] أو كان الداعى ظالما أو فاسقا أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر

---

(١) عد الغزالى من المنكر فرش الحرير والتصوير على الحيطان وسماع المزامير . وعندى أن المنكر الذى يحظر الحضور معه ويتعين انكاره هو ماانفق على انكاره وأجمع عليه فما لم يطبق الفقهاء على تحريمه فلا يكون منكرا ولا ينسب مقره الى الفسق . هذا فرش الحرير جوزالحنفية الجلوس عليه . والتصوير على الحيطان سوغه المالكية . وسماع المزامير ذهب اليه ابن حزم وكثير من أتباع الأئمة المشهورين وصنفت فيه مؤلفات معروفة فأنى يكون هذا من المنكر ، فالذى أراه فى المنكر أنه المجمع على تحريمه حتى شرط الفقهاء فى انكار المنكر أن يكون مجمعا عليه . نعم التورع والاحتياط وترك ما يريب الى ما لايريب باب آخر فيه حسم للشبهة اه حجاز الدين

(الخامس) أن لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا فى أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة فينوى الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واكرام أخيه المؤمن وزيارته ليكون من المتحابين فى الله وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجرى مجراه . وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى فى كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب. فان المباح يلتحق بوجوه الخيرات بالنية *

(وأما الحضور) فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ، ولا يطوّل الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان أشار اليه صاحب المكان بموضع لايخالفه البتة فانه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه ، ولا يجلس فى مقابلة باب الحجرة الذى للنساء وسترهم ، ولا يكثر النظر الى الموضع الذى يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ، ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس ، واذا دخل ضيف للمبيت فليعرّفه صاحب المنزل عند دخوله القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء ، وأن يغسل صاحب المنزل يده قبل القوم قبل الطعام لأنه يدعو الناس الى كرمه ويتأخر فى آخر الطعام عنهم ، وعلى الضيف إذا دخل فرأى منكراً أن يغيّره ان قدر والا أنكر بلسانه وانصرف *

(وأما احضار الطعام فله آداب خمسة) (الأوّل تعجيل الطعام) فذلك

من اكرام الضيف . ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أواثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير . وأحدُ المعنيين فى قوله تعالى (هَلْ أتاكَ حَدِيثُ ضَيفِ إبراهيمَ المُكْرَمينَ) أنهم أكرموا بتعجيل الطعام اليهم . دل عليه قوله تعالى (فما لبِثَ أن جاءَ بِعِجْلٍ حَنيذٍ) وقوله (فَراغَ إلى أهْلِهِ فجاءَ بِعجلٍ سَمينٍ) والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية . قال حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف . وتجهيز الميت . وتزويج البكر . وقضاء الدين . والتوبة من الذنب *

(الثانى) ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا ان كانت فذلك أوفق فى الطب فانها أسرع استحالة فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة . وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى (وفاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ) ثم قال (ولَحْمِ طيرٍ مِما يَشْتَهُونَ) ثم أفضل مايقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد . فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات . ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف ابراهيم اذا حضر العجل الحنيذ أى المحنوذ وهو الذى أجيد نضجه وهو أحد معنى الاكرام أعنى تقديم اللحم . قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه : أكل الطيبات تورث الرضاء عن الله . وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل . قال المأمون : شرب الماء بثلج يخلص الشكر . وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ، وتزيين

المائدة بالبقول مستحب أيضا (الثالث) أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفى منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة فى استكثار الأكل ويستحب أن يقدم جميع الألوان دفعة أو يخبر بما عنده (الرابع) أن لا يبادر الى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدى عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة الى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة *

(الخامس) أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنّع قال ابن مسعود رضى الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة . وينبغى أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم *

(فأما الانصراف فله ثلاثة آداب) (الأوّل) أن يخرج مع الضيف الى باب الدار وهو سنة وذلك من اكرام الضيف . وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة *

(الثانى) أن ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى فى حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع (الثالث) أن لا يخرج إلا برضاء صاحب المنزل واذنه ويراعى قلبه فى قدر الاقامة . واذا نزل ضيفا فلا

يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه . نعم لو ألحّ ربُّ البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك . ويستحب أن يكون عنده فراش لضيف ينزل به *

﴿ آداب متفرقة ﴾

(الأوّل) حكى عن ابراهيم النخعى أنه قال الأكل فى السوق دناءة ونقل عن بعض السلف فعله ووجه الجمع أنه يختلف بعادات البلادوأحوال الأشخاص فمن لايليق ذلك به لحاله أو عادة بلاده كان شرها وقلة مروءة ومن لا فلا حرج (الثانى) قال بعض الأطباء لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تاكلن طعاما إلا أجدت مضغه ولا تشربن فوق الطعام ولاتحبس البول والغائط واذا أكلت بالنهار قنم واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة (الثالث) يستحب أن يحمل الطعام الى أهل الميت ولماجاء نعى جعفر بن أبى طالب قال عليه الصلاة والسلام ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم مايأكلون فذلك سنة . واذا قدم ذلك الى الجمع حلّ الاكل منه (الرابع) لا ينبغى أن يحضر طعام ظالم فان أكرهَ فليقلل الاكل *

﴿ تتمة ﴾

حكي أن بعضهم كان يمتنع عن اجابة الدعوة ويقول انتظار المرقة ذل وقال آخر إذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى . وقد أنكر بعضهم هذا الكلام وقال هذا خلاف السنة * قال الغزالى وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بهامنة وكان يرى ذلك يداً له على المدعوّ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه أن الداعى له يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخراً لنفسه في الدنيا والآخرة . فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الاطعام وأنه يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل . ولذلك قال بعض الصوفية لاتجب الا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه فاذا علم المدعو أنه لامنة فى ذلك فلا ينبغى أن يرد *

كتاب اداب النكاح

﴿ الترغيب فيه ﴾

قال الله تعالى (وأنكِحُوا الأيَامَى مِنكُمْ) وهذا أمر . وقال تعالى (فلا تَعضُلوهُنَّ أنْ يَنكِحْنَ أزواجَهُنَّ) وهذا منع من العضل ونهى عنه وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم (ولقد أرسلنا رُسُلاً مِنْ قَبلِكَ وَجعلنا

لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) فذكر ذلك فى معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح أولياءه بسوآل ذلك فى الدعاء فقال (والذينَ يَقولونَ رَبَّنا هَبْ لنا مِنْ أزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعيُنٍ) الآية . وأما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم (النِّكاحُ سُنَّتى فمن رَغِبَ عَنْ سُنَّتى فقد رَغِبَ عنّى) وقال (مَنِ استطاعَ مِنكم الباءَةَ فليتزوّجْ فانّهُ أغضُّ لِلبصَرِ وأحصَنُ لِلفرجِ ومنْ لمْ يستطِع فعليهِ بالصَّومِ فانّهُ له وِجاءٌ) هذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رضِّ الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم . وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أتاكُم مَن ترضَونَ دِينَهُ وأمانَتَهُ فزَوِّجُوهُ إلاّ تفعلوهُ تكُن فِتنَةٌ فى الأرض وفسادٌ كبيرٌ) وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم (كُلُّ عملِ ابنِ آدمَ يَنقَطِعُ إلاّ ثلاثٌ ولدٌ صالِحٌ يَدعُو لهُ [1]) الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح *

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضى الله عنه لا يتم نسك الناسك حتى يتزوّج يحتمل أنه جعله من النسك أو تتمة له أو أراد أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزوّج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب وكان يجمع غلمانه لما أدركوا ويقول ان أردتم النكاح أنكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان

---

(١) قوله كل عمل الخ هكذا بالاصل والذى أحفظه أن نص الحديث هذا . اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له اه مصححه (ا ـ ع)

من قلبه *

(وأما فوائد النكاح) فخمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن *

(مايراعى من أحوال المرأة)

الخصال المطيبة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر . مقاصده ثمانية . الدين . والخلق . والحسن . وخفة المهر . والولادة . والبكارة . والنسب . وأن لاتكون قرابة قريبة *

(الاولى) أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه . فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة . وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى (قُوا أنفُسَكُمْ وَأهلِيكُمْ نَاراً) وان أنكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين فقال (تُنكَحُ المَرأةَ لِمالِها وَجَمالِها وَحَسبِها ودِينِها فَعليكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَربَتْ يَدَاكَ)*

(الثانية) حسن الخلق فانها اذا كانت سليطة بذيئة اللسان كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء

(الثالثة) حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبا . وما نقلناه من الحث على الدين ليس زجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين فان الجمال وحده فى غالب الامر يرغّب فى النكاح ويهوّن أمر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال أن الالف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال (إذا أوقَعَ اللهُ فى نَفسِ أحدِكُمْ مِنَ امْرَأةٍ فَلْينظُرْ إليها فإنَّهُ أحْرَى أن يُؤْدَمَ بَينهُما) أى يؤلف بينهما ، وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازاً من الغرور . وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همّ وغمّ . وروى أن رجلا تزوّج على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم . والغرور يقع فى الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر وفى الخلق بالوصف والاستيصاف. ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط فى الثناء . ولا يحسدها فيقصر وقلّ من يصدق فيه بل الخداع والاغراء أغلب والاحتياط فيه مهم *

(الرابعة) أن تكون خفيفة المهر فقد نهى عن المغالاة فى المهر وتزوّج بعض الصحابة على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم . وزوّج سعيد ابن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو اليه

ليلا فأدخلها من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها . وفى خبر : من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة ويسر مهرها وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغى أن ينكح طمعا في المال . واذا أهدى اليهم فلا ينبغى أن يهدى ليضطرهم الى المقابلة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة وداخل فى قوله تعالى (ولا تَمنُنْ تَستكثِرُ) أى تعطى لتطلب أكثر *

(الخامسة) أن تكون المرأة ولوداً فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزويجها

(السادسة) أن تكون بكراً قال عليه الصلاة والسلام لجابر وقد نكح ثيبا (هَلاّ بِكراً تُلاَعِبُها وتُلاَعِبُكَ) *

(السابعة) أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فانها ستربى بناتها وبنيها فاذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية . وفى خبر (تَخيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فإنّ العِرْقَ نزاعٌ) *

(الثامنة) أن لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة . فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء *

(ويجب) على الولىّ أيضا أن يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوّجها ممن ساء خُلقه أو خَلقه أو ضعف دينه أو قصُر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها في نسبها ومهما زوّج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم

وسوء الاختيار قال رجل للحسن : قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوّجها قال ممن يتقى الله فان أحبّها أكرمها . وان أبغضها لم يظلمها *

﴿ آداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق ﴾

(والنظر فيما على الزوج والزوجة)

(أما الزوج) فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمراً في الوليمة ، والمعاشرة ، والدعابة ، والسياسة ، والغيرة ، والنفقة ، والتعليم ، والقسم ، والتأديب في النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق *

(الأدب الأوّل الوليمة) وهى مستحبة قال أنس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أثر صفرة فقال ماهذا فقال تزوّجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أوْلِمْ ولو بشاة . وأوْلَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق . وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير . ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام (فَصلُ ما بَينَ الحَلالِ والحرامِ الدّفُ والصّوتُ) *

(الأدب الثانى حسن الخلق معهن) واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن قال تعالى (وَعاشِرُوهُنّ بالمعرُوفِ) وقال فى تعظيم حقهن (وأَخذنَ مِنكُمْ ميثاقاً غلِيظاً) وقال (والصّاحِبِ بالجنبِ) قيل هى المرأة . وليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام

وتهجره الواحدة منهن يوماً الى الليل *

(الثالث) أن يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهنّ فى الأعمال والأخلاق . وأرى عائشة لعب الحبشة بالمسجد واستوقفته طويلا وهو يقول لها حسبك . وقال صلى الله عليه وسلم (خَيرُكُمْ خَيرُكُمْ لِأهلِهِ وَأنا خَيرُكُمْ لِأهلِى) . وقال عمر رضي الله عنه : ينبغى للرجل أن يكون مع أهله مثل الصبىّ . وقال صلى الله عليه وسلم لجابر : (هَلاّ بِكْراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ) . ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولج . سكيتا اذا خرج . آكلا ماوجد . غير سائل عما فقد *

(الرابع) أن لاينبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حدّ يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكراً ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمّر وامتعض . فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ماجاوز حده انعكس على ضده فينبغى أن يسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة وتتبع الحق فى جميع ذلك ليسلم من شرّهن فان الغالب عليهن سوء الخلق ولا يعتدل ذلك منهنّ إلاّ بنوع لطف ممزوج بسياسة . وعليه أن ينظر إلى أخلاقها أوّلا بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها *

(الخامس) الاعتدال فى الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء وفى رواية ان تبغت النساء . ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة (لاتَطرِقُوا النّساء ليلاً) فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد فى منزله مايكره . وفى الحديث : أن من الغيرة غيرة يبغضها الله عزّ وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة لأن ذلك من سوء الظن الذى نهيناعنه وأما الغيرة فى محلها فلا بد منها وهى محمودة وذلك فى الريبة . وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء فى حضور المسجد سيما في العيدين فالخروج للمسجد مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود أسلم . وينبغى أن لاتخرج إلا لمهمّ فان الخروج للنظارات والأمور التى ليست مهمة تقدح فى المروءة وربما تفضى الى الفساد فاذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال . ولسنا نقول أن وجه الرجل فى حقها عورة كوجه المرأة فى حقه بل هو كوجه الصبىّ الأمرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا إذ لم يزل الرجال على ممرّ الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقيب أو منعن من الخروج إلا لضرورة *

(السادس) الاعتدال فى النفقة فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الانفاق ولاينبغى أن يسرف بل يقتصد قال تعالى (كلوا وَاشرَبوا وَلا تُسرفوا)

قال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله فى كل جمعة حلاوة . وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لوترك فهذا أقل درجات الخير . وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير تصريح إذن من الزوج ولا ينبغى أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف . ولاينبغى أن يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم اياه . واذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته . وأهم مايجب عليه مراعاته فى الانفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فان ذلك جناية عليها لامراعاة لها *

(السابع) أن يتعلم المتزوّج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة ويخوفها من الله ان تساهلت فى أمر الدين فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء . وان قَصُر علم الرجل ولكن ناب عنها فى السؤال فأخبرها بجواب المفتى فليس لها الخروج . فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها *

(الثامن) اذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن . فان ظلم امرأة بليلتها قضي لها فان القضاء واجب عليه . وانما عليه العدل فى العطاء والمبيت وأما فى الحب والوقاع فذلك لايدخل تحت الاختيار . وكان صلى الله عليه وسلم يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة

منهن . ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ثبت الحق لها *

(التاسع)التأديب فى النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فان كان من جانبهما جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) وأما اذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوّامون على النساء فله أن يؤدّبها ويحملها على الطاعة قهراً ولكن ينبغى أن يتدرّج فى تأديبها وهو أن يقدّم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاّها ظهره فى المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو فى البيت معها من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح ولا يضرب وجهها فذلك منهىّ عنه *

(العاشر فى آداب الجماع) يستحب أن يقدم عليه الحديث والمؤانسة وأن يغطى رأسه ويغض صوته ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضاً نهمتها ولا يأتيها فى المحيض حتى تطهر . وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها فى غير المأتى إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير المأتى دائم فهو أشد تحريماً من اتيان الحائض . وقوله تعالى (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أى فى أىّ وقت شئتم . وله أن يستمنى بيديها وأن يستمتع بما تحت الازار بما يشتهى سوى الوقاع ، وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها ومن الآداب أن لا يعزل فما من نسمة قدّر الله كونها الا وهى كائنة . فان عزل فمن العلماء من أباحه ومنهم من أحله

برضاها وحرّمه بدون رضاها لئلا يؤذيها والصحيح الأوّل وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل . وفى لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا . وقد يبعث على العزل استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق أو الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء فان قلة الحرج معين على الدين *

(الحادى عشر فى آداب الولادة) وهى خمسة (الأوّل) أن لا يكثر فرحه بالذّكر وحزنه بالأنثى فانه لا يدرى الخير له فى أيّهما. فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له أو يتمنى أن تكون بنتا بل الثواب فيهن أكثر قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ كانَتْ لهُ ابنتانِ أو أختان فأحْسَنَ إليهما ما صَحِبتَاهُ كُنتُ أنا وَهُوَ فى الجنّةِ كَهَاتَينِ) *

(الثانى) أن يؤذن في أذن المولود حين ولادته (الثالث) أن يسميه اسما حسناً . ومن كان له اسم مكروه يستحب تبديله (الرابع) العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة وأن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة *

(الخامس) أن يحنكه بتمر أو حلاوة روى ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم *

(الثانى عشر في الطلاق) وهو أبغض المباحات الى الله تعالى . وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل . ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح

ايذاء الغير الا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه قال تعالى (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى لاتطلبوا حيلة للفراق . وان كرهها أبوه لالغرض فاسد فليطلقها براً به . ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهى جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين . وان كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدى ببذل مال . ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع . قال تعالى (لاجناحَ عليهما فيما افتدَتْ بهِ) فردّ ما أخذته فما دونه لائق بالفداء . فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة . ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور (الأول) أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع فيه بدعىّ حرام وان كان واقعاً لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء أمسكها (الثانى) أن يقتصر على طلقة واحدة لأنها تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة . واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى أن يتزوّجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهىّ عنه ويكون هو الساعى فيه (الثالث) أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى (ومَتِّعُوهُنَّ) وجّه الحسن بن علىّ رضى الله عنهما بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدّا وأمره أن يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم (الرابع) أن لا يفشى

سرّها لا فى الطلاق ولا عنـد النكاح فقد ورد فى إفشاء سرّ النساء وعيد عظيم *

* حقوق الزوج على الزوجة *

على الزوجة طاعة الزوج فى كل ماطلب منها مما لا معصية فيه . وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم (أيُّما امرَأةٍ ماتَتْ وَزوجُها عَنها رَاضٍ دَخلتِ الجنّةَ) وقال صلى الله عليه وسلم (إذا صَلَّتِ المَرأةُ خَمسَها وصامَتْ شَهرَها وَحفِظت فَرجَها وأطاعَت زَوجَها دَخلتْ جَنّةَ رَبّها) قال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إنى امرأة أيّم وأريد أن أتزوّج فماحق الزوج قال (إنّ مِن حَقّ الزّوجِ عَلى الزّوجَةِ إذا أرَادَها فَرَاوَدَها عَن نفسِها وَهِيَ عَلى ظهرِ بَعيرٍ لاتمنَعُهُ) ومن حقه أن لاتعطى شيأ من بيته إلا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له . ومن حقه أن لا تصوم تطوّعا إلا باذنه فان فعلت ذلك جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغـير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب : فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما. ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنته عند التزوج (انك خرجت من العش الذى فيـه درجت فصرت الى فراش لاتعرفيه . وقرين لاتألفيـه .

فكوني له أرضاً يكن لك سماء . وكوني له مهاداً . يكن لك عماداً . وكوني له أمة يكن لك عبداً . لاتلحني به فيقلاك . ولا تباعدي عنه فينساك . ان دنا منك فاقربي منه . وان نأى فابعدي عنه . واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيباً ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا) فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قعر بيتها . لازمة لمغزلها . لا يكثر صعودها واطلاعها . قليلة الكلام لجيرانها . لاتدخل عليهم الا فى حال يوجب الدخول . تحفظ بعلها فى غيبته وحضرته . وتطلب مسرته فى جميع أمورها . ولا تخونه فى نفسها وماله . ولا تخرج من بيتها إلا باذنه . فان خرجت باذنه فمختفية فى هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق . محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها فى حاجاتها بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه . همها صلاح شأنها وتدبير بيتها . مقبلة على صلاتها وصيامها . واذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وبعلها . وتكون قانعة من زوجها بمارزق الله . وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها . متنظفة فى نفسها . مستعدة فى الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء . مشفقة على أولادها . حافظة للسر عليهم . قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الأزواج (ومن آدابها) أن لاتتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه (ومن آدابها) ملازمة الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب

اللذة فى حضور زوجها (ومما يجب عليها) من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها أن لاتحدّ عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة فى هذه المدة وقال صلى الله عليه وسلم (لايحِلُّ لِامرَأةٍ تُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ أن تُحِدَّ عَلى مَيّتٍ أكثرَ مِن ثلاثةِ أيّامٍ إلاّ عَلى زوجٍ أربَعةَ أشهُرٍ وعَشراً) ويلزمها لزومُ مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة (ومن آدابها) أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها كما كان عليه نساء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين *

كتاب اداب الكسب والمعاش

﴿ فضل الكسب والحث عليه ﴾

أما من الكتاب فقوله تعالى (وَجعلْنا النَّهارَ مَعاشاً) فذكره فى معرض الامتنان وقال تعالى (وَجَعلنا لَكم فيهامَعايِشَ قَليلاً ماتَشكُرُونَ) فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى (فانتشِرُوا فى الأرضِ وابْتَغوا مِن فَضلِ اللهِ) وأما الأخبار فمنها قوله صلى الله عليه وسلم (لَأن يأخُذَ أحدُكم حَبْلَهُ فَيحتطِبَ على ظهْرِهِ خيرٌ مِن أن يأتى رَجُلاً أعطاهُ اللهُ مِن فَضلِهِ فَيسألُهُ أعطاهُ أو مَنعَهُ) وكان صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكّر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله تعالى فقال صلى الله عليه

وسلم (لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) وقيل يارسول الله أى الكسب أطيب قال (عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) وقال صلى الله عليه وسلم (خير الكسب كسب العامل إذا نصح) أى بأن أتقن وتجنب الغش وقام بحق الصنعة . وقال عمر رضى الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه انى لأكره أن أرى الرجل فارغا لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته . وقيل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه ما تقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم (إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى) وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال (تغدو خماصاً وتروح بطاناً) فذكر أنها تغدوا فى طلب الرزق . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم . والقدوة بهم . ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة . نعم ترك الكسب أفضل لعالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به فى دينهم كالمفتى - أى الفقيه - والمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين كالسلطان والقاضى والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من

الاموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء . فاقبالهم على ماهم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما ولّى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأي ذلك أولى ثم لما توفى أوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه فى الابتداء أولى *

﴿ بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة ﴾

إعلم أن المعاملة قد تجرى على وجه يشتمل على ظلم يتعرّض به المعامل لسخط الله تعالى . وهذا الظلم يُعنَى به ما استضرَّ به الغير وهو منقسم الى مايعم ضرره والى مايخص المعامل *

﴿ القسم الأول فيما يعم ضرره — وهو أنواع ﴾

(الأوّل الاحتكار) فادّخار بائع الطعام له ينتظر به غلاء الأسعار هو ظلم عام صاحبه مذموم فى الشرع . وذلك فى وقت قلة الأطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون فى تأخير بيعه ضرر ما أما اذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس فى هذا اضرار وأما اذا كان الزمان زمان قحط كان فى ادخاره اضرار فلا ريب في تحريمه *

ومع عدم الضرار لايخلو احتكار الأقوات عن كراهية فانه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الأسعار . وانتظار مبادئ الضرار محذور

كانتظار عين الضرار ولكنه دونه . وانتظار عين الضرار أيضاً هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم *

(الثانى) ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروّجه على غيره فيتردّد فى الأيدى ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه لانه هو الذى فتح هذا الباب قال بعضهم انفاق درهم زيّف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت ومعصية انفاق الزيف قد يكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة أو مائتى سنة الى أن يفنى ذلك الدرهم . ويكون عليه مافسد من نقص أموال الناس وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه بمائة سنة أو أكثر يعذب بها فى قبره ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى (وَنكتُبُ ماقَدَّمُوا وآثارَهُمْ) أى نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدّموه . وفي مثله قوله تعالى (يُنبَّأُ الإنْسانُ يَومئِذٍ بِما قَدّمَ وأخرَ) وانما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وفى الزيف أمور ، منها أنه اذا رد عليه شئ منه فينبغى أن يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه أن يروجه في بيع آخر فان أفسده بحيث لا يمكن التعامل جاز ، ومنها أنه يجب على التاجر تعلم النقد لئلا يسلم الى أحد زيفا وهو لايدرى فيكون آثما بتقصيره فى تعلم ذلك العلم . فلكل عمل علمٌ به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ومنها أنه ان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر بها

معامله وأن لايعامل بها إلا من لايستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فأما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه. وسلوك طريق الحق بمثال هذا فى التجارة أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها *

﴿ القسم الثانى مايخص ضرره المعامل ﴾

فكل مايستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل بأن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلىّ فيه أن لا يحب لأخيه إلا مايحب لنفسه . فكل ماعومل به وشق عليه وثقل على قلبه فينبغى أن لايعامل غيره به بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره . هذه جملته. وأماتفصيله ففى أربعة أمور*

(الأوّل) أن لايثنى على السلعة بما ليس فيها لأنه كذب فان قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة وأما الثناء على السلعة بذكر القدر الموجود فيها من غير مبالغة واطناب فلا بأس به . ولا ينبغي أن يحلف عليها البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أخسّ من أن يقصد ترويجها بذكراسم الله من غير ضرورة . وفى الخبر (وَيلٌ لِلتَّاجِرِ من بَلَى والله ولا والله وَوَيلٌ للصَّانِعِ مِنْ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ) وفى الخبر (اليمينُ الكاذِبَةُ منفقةٌ لِلسّلعَة ممحقةٌ لِلكَسبِ) (الثانى) أن يظهر جميع عُيوب المبيع خفيّها وجليّها

ولا يكتم منها شيأ فذلك واجب فان أخفاه كان ظالما غاشًّا والغش حرام. وكان تاركا للنصح فى المعاملة والنصح واجب . ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى كان غاشا . وكذلك إذا عرض الثياب فى المواضع المظلمة . وكذلك اذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله . ويدل على تحريم الغش ماروى أنه مرّ عليه السلام برجل يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال ماهـذا قال أصابته السماء فقال (فَهلاّ جَعلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ حتّي يرَاهُ النّاسُ مَن غَشَّنا فَليسَ مِنَّا) ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايع جريراً على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير إذا قام الى السلعة يبيعها بَصّر عيوبها ثم خيّره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم (وكان) واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجلٌ ناقةً له بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به ياهـذا اشتريتها للحم أو للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وأنها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله أفسدت علىّ بيعى فقال إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يَحِلُّ لِأحدٍ يَبيعُ بَيعاً إلاّ أن يُبيّنَ آفتَهُ ولا يَحِلُّ لِمن يَعلمُ ذَلِكَ إلا تَبْيينُهُ) فقد فهموا من النصح

أن لايرضي لأخيه الا مايرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا أنه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم. وهذا الأمر وان كان يشق على النفس الا أنه يتيسر على العبد باعتقاد أمرين أحدهما أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لايزيد فى رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته . وقد يهلك الله مايجمعه من التلبيسات دفعة واحدة فقد حكى أن واحداً كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض أولاده ان تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم (البَيِّعانِ إذا صدَقا ونَصحا بُورِكَ لهُما فى بَيْعِهما وَإذا كتَما وكذَبا نُزِعَتْ بركَةُ بَيْعِهما) وفى الحديث (يدُاللهِ على الشّريكيْنِ ما لَمْ يَتخاونافإذاتَخاوَنا رَفعَ يدَهُ عنهُما) فاذا لايزيد مال من خيانة كما لاينقص من صدقة . والمعنى الثانى الذى لابد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستخير العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير والخير كله فى سلامة الدين وفى الحديث (ما آمنَ بالقُرآنِ مَن استحَلّ محارَمَهُ) ومن علم أن هذه الأمور قادحة في ايمانه وأن ايمانه رأس ماله فى تجارته فى الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة . وعن بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لى من خير هؤلاء ومن شرهم لقلت خيرهم أنصحهم وشرهم

أغشهم لهم . والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعاً . ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغى أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك يتخلص وسأل رجل حذاء ابنَ سالم فقال كيف لى أن أسلم فى بيع النعال فقال . أجعل الوجهين سواء . ولا تفضل اليمنى على الأخرى . وجوّد الحشو . وليكن شيأ واحداً تاماً ، وقارب بين الخرز . ولا تطبق احدى النعلين على الأخرى * ومن ذلك ماسئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين قال لايجوز لمن يبيعه أن يخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم أنه يظهره أو أنه لا يريده للبيع (فان قلت) فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان أن يذكر عيوب المبيع فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن لا يشترى للبيع الا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو أمسكه ولا يحتاج الى تلبيس فمن تعوّد هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادراً فليذكره وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شاة فقال للمشترى أبرأ اليك من عيب فيها أنها تقلب العلف برجلها فهكذا كانت سيرة أهل الدين (الثالث) أن لا يكتم فى المعيار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفى الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى (وَيلٌ لِلمُطَفِّفِينَ الَّذينَ إذا اكْتالُوا على النَّاسِ يَستَوفُونَ وإذا كالُوهُم أو وزَنُوهُم يُخسِرُونَ) ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجح اذا أعطى وينقص اذا أخذ إذ العدل الحقيقى قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه . وكان

بعضهم يقول لا أشترى الويل من الله بحبة . وكل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل . وكل قصّاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين فى الوزن . وقس على هذا سائر التقديرات حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مداً . واذا باعه مده فى الذرع ليظهر تفاوتا في القدر . فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل (الرابع) أن يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيأ فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان ونهى عن النجش أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرفقة و يتلقى المتاع و يكذب فى سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا تَتَلَقَّوا الرُّكبانَ) ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق (ونهى أيضاً) أن يبيع حاضر لباد وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع الى بيعه فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره (ونهى أيضاً) عن النجش وهو أن يتقدم الى البائع بين يدى الراغب المشترى و يطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وانما يريد تحريك رغبة المشترى فيها . فهذه المناهى تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشترى فى سعر الوقت و يكتم منه أمراً لو علمه لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . ومن ذلك أنه ليس له أن يغتنم فرصة و ينتهز غفلة صاحب المتاع و يخفى من البائع غلاء السعر أو من المشترى تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل

والنصح للمسلمين . ومهما باع مرابحة بأن يقول بعت بما قام علىّ أو بما اشتريته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان *

﴿ الاحسان فى المعاملة ﴾

قد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجرى من التجارة مجرى سلامة رأس المال. والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجرى من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس ماله فكذا فى معاملات الآخرة . ولا ينبغى للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الاحسان وقد قال الله تعالى (وأحسِنْ كما أحسنَ اللهُ إليكَ) وقال عز وجل (إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعدْلِ والإِحسانِ) وقال سبحانه (إنّ رَحمَةَ اللهِ قَريبٌ مِنَ المُحسنِينَ) وينال المعامل رتبة الاحسان بواحد من ستة أمور (الأول) فى المغابنة فينبغى أن لا يغبن صاحبه بمالا يتغابن به فى العادة فأما أصل المغابنة فمأذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة (الثاني) فى احتمال الغبن والمشترى ان اشترى طعاماً من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا فى قوله عليه السلام (رَحِمَ اللهُ سَهْلَ البَيعِ وسَهلَ الشّرَاءِ) وأما احتمال الغبن من الغنىّ فليس محموداً بل هو تضييع مال من غير أجر

ولا حمد وكان كثير من السلف يستقصون فى الشراء ويهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم فى ذلك فقال ان الواهب يعطى فضله وان المغبون يغبن عقله (الثالث) فى استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه وفى الخبر (مَنْ أقْرَضَ ديناراً إلى أَجَلٍ فَلهُ بِكلّ يومٍ صَدَقةٌ إلى أجلِهِ فإذا حلّ الأجلُ فأنظَرَهُ بَعدَهُ فلهُ بِكلّ يومٍ مثلُ ذلِكَ الدّيْنِ صدَقَةً) ونظر النبىّ صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فأومأ الى صاحب الدين بيده أى ضع الشطر ففعل فقال للمديونِ قم فاعطه (الرابع في توفية الدين) ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشى الى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم (خَيرُ كُمْ أحسَنكُمْ قضاءً) ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر. ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليتحمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لما ردد عليه كلامه صاحب الدين فهمّ به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا. ومن الاحسان أن يميل الحكمَ الى من عليه الدين لعسره (الخامس) أن يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه وفي الخبر (مَنْ أقالَ نادِماً صَفْقَتَهُ أقالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يومَ القيامَةِ) (السادس) أن يقصد فى معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة

وهو فى الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم يظهر لهم ميسرة وكان من السلف من يقول لفقير خذ ماتريد فان يسرلك فاقض والا فأنت فى حلّ منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وبالجملة فالتجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه *

﴿ شفقة التاجر على دينه ﴾

لاينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح فى الاخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة . بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه وانما تتم شفقته على دينه بمراعاة سبعة أمور (الأوّل) حسن النية فى ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به . ولينو النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق مايحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان فى معاملته كما ذكرناه . ولينو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ما يراه فى السوق فاذا أضمر هذه النيات كان عاملا فى طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر فى الدنيا ربح فى الآخرة (الثانى) أن يقصد القيام فى صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفلُ

كل فريق بعمل . ومن الصناعات ماهى مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين فى الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون بقيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين (الثالث) أن لايمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى (رِجالٌ لاَ تُلهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيعٌ عَنْ ذِكرِ اللهِ وَإقامِ الصَّلاةِ وَإيتاءِ الزكاةِ) وكان السلف يبتدرون عند الاذان . ويخلون الاسواق لاهل الذمة والصبيان *

(الرابع) أن لايقتصر على هـذا بل يلازم ذكر الله سبحانه فى السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح فذكر الله فى السوق بين الغافلين أفضل *

(الخامس) أن لايكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج (السادس) أن لايقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ويستفتى قلبه فاذا وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه أمرها سأل عنها . وكل منسوب الى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله (السابع) ينبغي أن يراقب جميع مجارى معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب *

كتاب الحلال والحرام

﴿ فضيلة الحلال ومذمة الحرام ﴾

قال الله تعالى (كُلوا مِنَ الطَّيِّبات واعْمَلوا صَالِحًا) أمر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى (ولاَ تأكُلوا

أموالكُمْ بَينَكُمْ بِالباطِلِ) وقال تعالى (إنَّ الذينَ يَأْكلُونَ أموَالَ اليَتامَى ظُلماً إنّما يَأْكلُونَ فِى بُطونِهِمْ ناراً وسَيَصلَوْنَ سَعيرًا) وقال تعالى (يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إن كنتُمْ مُؤْمنينَ) ثم قال (فإنْ لمْ تفعَلوا فأْذَنوا بِحَربٍ مِنَ اللهِ وَرسُولِهِ) ثم قال (وَإنْ تُبتُمْ فلكم رُؤُسُ أموَالِكمْ) ثم قال (ومَنْ عادَ فأُولئِكَ أصحابُ النارِ هُم فِيها خالِدُونَ) جعل أكل الربا فى أول الامر مؤذنا بمحاربة الله وفى آخره متعرضا للنار والآيات الواردة فى الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (طَلبُ الحلالِ فريضَةٌ على كل مُسلِمٍ) وقال بعض العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم (طلبُ العِلمِ فريضةٌ على كلّ مُسلمٍ) المراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال (رُبَّ أشعَثٍ أغبَرٍ مُشَرّدٍ فى الأسفارِ مَطعَمُهُ حرامٌ ومَلبَسُهُ حرامٌ وغُذِّىَ بالحرام يَرفَعُ يدَيهِ فيقول ياربّ ياربّ فأنَّى يُستَجابُ لذلكَ) وقال صلى الله عليه وسلم (كلُّ لحمٍ نبَتَ مِن حرامٍ فالنّارُ أولَى بهِ) وأما الآثار فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فاعطونى فأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقىء حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء . وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا فأدخل أصابعه وتقيأ . وقال سهل التسترى لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه أربع

خصال اداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهى ظاهرا وباطنا . والصبر على ذلك الى الموت. وكان بشر الحافى رحمه الله من الورعين فقيل له من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك وقال يدٌ أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة . وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات *

﴿ أصناف الحلال ومداخله ﴾

إعلم أن تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا يأكل من غيرها . فأما من يتوسع فى الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله . ونحن الآن نشير الى مجامعه فى سياق تقسيم وذلك أن المال انما يحرم اما لمعنى فى عينه . أو لخلل فى جهة اكتسابه *

(القسم الأوّل) الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما .وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثةَ أقسام فانها اما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما . أو من النبات . أومن الحيوانات فأما المعادن فهى أجزاء الأرض وجميع مايخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث أنه يضر بالآكل أو فى بعضها مايجرى مجرى السمّ . والخبزُ لو كان مضراً لحرم أكله . والطين الذى يعتاد أكله لايحرم الا من حيث الضرر *

(وأما النبات) فلا يحرم منه إلا مايزيل العقل أو يزيل الحياة أوالصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات . ومزيل الحياة السموم ومزيل

الصحة الأدوية فى غير وقتها . وكأنّ مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذى لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته *

(وأما الحيوانات) فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل . وتفصيله في كتب الفقه وما يحل أكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعى فيه شروط الذابح والآلة والمذبح على ما يذكر في كتب الفقه وما لم يذبح ذبحا شرعيا أو مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد *

(القسم الثانى) ما يحرم لحلال فى جهة اثبات اليد عليه ويتحصل منه أقسام (الأول) ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال وشرطه أن لا يكون المأخوذ مختصا بذى حرمة من الآدميين *

(الثانى) المأخوذ قهراً ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر أملاك الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد *

(الثالث) ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعى فيه الشروط المصححة مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة *

(الرابع) ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان الموروث قد اكتسب من وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الحج والزكاة والكفارة ان كان واجبا وبقى أقسام أخر ونحن أشرنا الى جملتها ليعلم المريد أن كل ما يأكله من جهتها

ينبغى أن يستفتى فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لِمَ خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم *

* درجات الحلال والحرام *

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض . والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض . ولذا كان الورع عن الحرام على درجات . فمنه الورع عن كل ماتحرّمه فتاوى الفقهاء . ومنه الورع عما يتطرق اليه احتمال التحريم . ومنه مالاشبهة فى حلّه ولكن يخاف منه أداؤه الى محرّم وهو ترك مالا بأس به مخافة مما به بأس. ومنه مالا يخاف منه أن يؤدى الى مابه بأس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوّى به على عبادة الله أو تتطرق الى أسبابه المسهّلة له كراهية أو معصية *

وقد حكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريكه أربعة آلاف درهم لأنه حاك فى قلبه شئ مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به . وكان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة . وكان بعضهم يتجر فكلّ مايستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه بزيادة حبة . ومن ذلك الاحتراز عما يتسامح به الناس فان ذلك حلال فى الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجرّ الى غيره وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع كما تورع بعضهم من أخذ تراب من حائط بيت كان يسكنه بكراء وكما روى أن عمر بن عبد العزيز كان يوزن بين يديه

مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال لما استبعد ذلك منه وهل ينتفع منه إلا بريحه ومنه أن بعضهم كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق فى الدهن . وأخذ الحسن رضى الله عنه تمرة من تمر الصدقة وكان صغيراً فقال صلى الله عليه وسلم (كخ كخ) أى ألقها . وتقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن الذى سقاه اياه رقيقه وكان تكهن فأعطى اللبن أجرة له ـ وذلك خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوّة مع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصديقين . وبالجملة فكلما كان العبد أشد تشديداً على نفسه كان أخف ظهراً يوم القيامة وأبعد عن أن تترجح كفة سيآته على كفة حسناته واذا علمت حقيقة الأمر فاليك الخيار فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام *

﴿ مراتب الشبهات ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُما أُمُور مُشْتَبِهاتٌ لا يَعلمُها كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتّقى الشُّبُهاتِ فقَدِ استَبْرأ لِعِرْضِهِ ودينِهِ ومَنْ وقَعَ فى الشُّبُهاتِ وقَعَ فى الحَرَامِ كالرّاعِي حَوْلَ الحِمَى يُوشكُ أن يقَعَ فِيهِ) فهذا الحديث نص فى اثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها فان مالا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول (الحلال المطلق) ماخلا

عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه وانحلّ عن أسبابه تحريم أو كراهة

(والحرام المحض) هو مافيه صفة محرمة لا يشك فيها كالخمر اشدته المطربة . والبول لنجاسته أو حصل بسبب منهىّ عنه قطعاً كالمحصل بالظلم والربا ونظائره . وهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدلّ عليه (والاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم فى نفسه) وأما الشبهة فما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقاد ان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين وللشبهة مثارات (المثار الأوّل) الشك فى السبب المحلل والمحرم فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك ، وان غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب . ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه الى أقسام أربعة (القسم الأول) أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها (القسم الثانى) أن يعرف الحل ويشك فى المحرم فالأصل الحل وله الحكم (القسم الثالث) أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذى يختار فيه أنه يحل وان اجتنابه من الورع مثاله أن يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتاً وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فالمختار أنه حلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق

والأصل أنه لم يطرأ عليه غيره فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك

(القسم الرابع) أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر فى غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم مثاله أن يؤدى اجتهاده الى نجاسة أحد الاناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما توجب منع الوضوء به *

﴿ المثار الثانى للشبهة شك منشؤه الاختلاط ﴾

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز . والخلط أنواع نوع يقع بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية أو بعشر مذكاة أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات فى هـذا . واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشئ الواحـد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر أغلب فى نظر الشرع فلذلك ترجح *

ونوع يقع فيه حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد بل له أن ينكح من شاء منهن . وذلك لغلبة الحلّ والحاجة جميعاً إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج (وَما فى الدّين مِن حرَج) ويعلم هذا بأنه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مِجَنٌّ وغل

واحد فى الغنيمة عباءة لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء فى الدنيا وكذلك كل ماسرق وكذلك كان يعرف أن فى الناس من يرابى فى الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية وأما اذا اختلط حرام لايحصر بحلال لايحصر كحكم الأموال فى زماننا هذا فانه لايحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شئ بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام وقول القائل أكثر الأموال حرام فى زماننا غلط . منشؤه استكثار النفوس الفساد واستعظامها له وان كان نادراً حتى ربما يظن أن الزناة وشرّاب الخمر قد شاعوا كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطأ فانهم الأقلون وان كان فيهم كثرة . وبالجملة فالأصل الحل . ولا يرفع الا بعلامة معينة *

﴿ المثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلّل معصية ﴾

كالبيع فى وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوبة والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد فى العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع لأن تناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم . ومثله كل تصرف يفضي فى سياقه الى معصية كبيع العنب من الخمار وبيع السلاح من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء فى صحة ذلك وفى حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصى عصيان الاعانة على

المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد والمأخوذ من هـذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم *

﴿ تنبيه ﴾

لاينبغي للانسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز مارسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان مايفسده أكثر مما يصلحه والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم (الَّذِينَ ضل سَعيُهُم فى الحَياةِ الدُّنيا وهُم يَحسَبُونَ أنَّهُم يُحسِنونَ صُنعا) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (فَضلُ العالِمِ عَلى العابِدِ كَفضلِي عَلى أدنى رجُلٍ مِن أصحابى) *

﴿ البحث والسؤال فى الحرام والحلال ﴾

اعلم أن كل من قدّم اليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشترى منه أو تهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول هـذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث مطلقا بل السؤال لا بد منه فى مواقع الريبة ومنشأ الريبة بالنسبة لصاحب المال أن يكون مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظنى يستند الى دلالة . وبالنسبة للمال أن يختلط حرامه بحلاله ويكون الحرام أكثر مع يقين وجوده . فاذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجوداً فى الحال لم يكن الأكل حراما ولكن السؤال احتياط والامتناع عنه ورعٌ . وانما يسئل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما فان كان متهما بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال أو بأنه

لاثقة فى اخباره وأمانته فليسأل من غيره فاذا أخبره عدل واحد قبله وان أخبره فاسق علم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لاغرض له فيه جاز قبوله لأن المطلوب ثقة النفس . والمفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع . وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه فاذا اطمأن القلب كان الاحتراز حتما واجبا *

﴿ كيفية خروج التائب من المظالم المالية ﴾

إعلم أن كل من تاب وفى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام واخراجه . ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما *

(النظر الأوّل) فى كيفية التمييز والاخراج من تاب وفى يده ماهو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فاما أن يكون من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والادهان أو يكون فى أعيان متمايزة كالدور والثياب فان كان فى المتماثلات أو كان شائعا فى المال كله كمن اكتسب المال بتجارة كذَبَ فى بعضها وكمن غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه وفعل ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فان كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف . وان أشكل فله طريقان الأخذ باليقين والأخرى الأخذ بغالب الظن . والورع فى الطريق الأولى فلا يستبقى الا القدر الذى يتيقن أنه حلال *

فأما اذا اشتبه دار أو ثوب بأمثالهما وكان فيهما تفاوت أخذ الحاكم من

طالب بيعها قيمة الانفس وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت الى البيان والاصطلاح (مسئلة) من ورث مالا ولم يدر أن مورّثه من أين اكتسبه أمِنْ حلال أم من حرام ولم يكن ثمَّ علامة فهو حلال باتفاق العلماء . وان علم أن فيه حراماً وشك فى قدره أخرج مقدار الحرام بالتحرّى . وان علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لايلزمه والاثم على المورّث *

(النظر الثانى فى المصرف) فاذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال إما أن يكون له مالك معيّن فيجب الصرف اليه أو الى وارثه . وان كان غائبا فينتظر حضوره أو الايصال اليه . وان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده الى وقت حضوره واما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدرى أنه مات عن وارث أم لا فهذا لايمكن الردفيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك فهذا ينبغى أن يتصدق به لئلا يضيع وتفوت المنفعة على المالك وعلى غيره ، وله أن يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيراً *

كتاب اداب الالفة

﴿ والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ﴾

(فضيلة الألفة والأخوّة)

إعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرّق ثمرة سوء الخلق فحسن

الخلق يوجب التحابّ والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر وحسن الخلق لايخفى فى الدين فضيلته وهوالذى مدح الله سبحانه به نبيّه عليه السلام إذ قال (وإنّكَ لَعلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم (أكثرُ ماُيدخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ تقوَى اللهِ وحُسنُ الخُلُقِ) وقال صلى الله عليه وسلم (بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ مَحاسِنَ الأخلاقِ) ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة وقد ورد فى الثناء على نفس الألفة سيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحبّ الله من الآيات والأخبار والآثار مافيه كفاية ومقنع . قال الله تعالى مظهراً عظيم منته على المؤمنين (فأصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إخواناً) أى بالألفة وذم التفرقة وزجر عنها فقال تعالى (واعتَصِمُوا بِحبلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفرَّقوا) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ أقربكم مِنّى مَجلِساً أحاسِنُكم أخلاقاً المُوَطَّئُونَ أكنافاً الَّذينَ يألَفونَ ويُؤلَفونَ) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمِنُ آلِفٌ مألوفٌ ولا خيرَ فيمن لايألَفُ ولا يُؤلَفُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أرادَ اللهُ بِهِ خيراً رَزَقهُ خَليلاً صالحاً إن نَسيَ ذَكَّرَهُ وإن ذَكَرَ أعانَهُ)وعنه (ماتحابَّ اثنانِ فى اللهِ إلاّ كان أحبُّهُما إلى اللهِ أشدّهُما حُبًّا لصاحبِهِ) وعنه صلى الله عليه وسلم (إنّ اللهَ تعالى يقولُ حَقَّت مَحبَّتى لِلّذينَ يَتزاوَرُونَ مِن أجلِي وحَقَّت مَحبَّتى لِلّذينَ يَتحابُّونَ من أجلِي وحَقَّت مَحبَّتى للّذينَ يَتهاذَلونَ من أجلِي وحقت مَحبَّتى لِلّذينَ يتناصَرُونَ من أجلِي) وعنه صلى الله عليه وسلم (إنّ أحبَّكُم إلى اللهِ الذينَ يألَفونَ ويُؤلَفون وإنّ أبغَضكُمْ إلى اللهِ

المشّاؤن بالنميمةِ المفرّقون بَين الإِخوان) ومن الآثار ماروى عن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال : هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . بأىّ عمل عملته . بأى شهوة تركتها . بأى غيظ كظمته . بأى رحم وصلتها . بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته فى الله . بأى بعيد قاربته فى الله (وقال أيضاً) نظر الرجل الى وجه أخيه على المودّة والرحمة عبادة *

﴿ تحقيق المحبة فى الله ﴾

هو أن يحب المرء لا يحبه لذاته بل الى حظوظه الأخروية منه كمن يحب أستاذه لأنه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله . وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم فهو محب فى الله . بل الذى يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله . وكذا لو أحب من يتولى له ايصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه فى الله . أو أحب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أوالعمل ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب فى الله . أو أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو

محب فى الله ـ فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسى والمواسَى جميعاً من المتحابين فى الله . وكذا من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد له منها ولد صالح أو أحب زوجته لأنها آلة إلى هـذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله . وكذا إذا اجتمع فى قلبـه محبة الله والدنيا كمن أحب من يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى المال فهو محب فى الله . وليس من شرط حب الله أن لايُحَبَّ فى العاجل حظّ البتة إذ الدعاء الذى أمر به الأنبياء صلوات الله عليهـم وسلامه فيـه جمع بين الدنيا والآخرة (رَبَّنا آتِنا فى الدُّنيا حَسَنَةً وفى الآخِرَةِ حَسنَةً) وفى المأثور (اللهـم انى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة) ثم إذا قوى الحب فى الله حمل على الموالاة والنصرة والذبّ بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجلّ الا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لايبقى للنفس حظا إلا فيماهوحظ المحبوب وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كما تسمح نفسه بأن يشاطر محبو به فى نصف ماله أو فى ثلثه أو فى عشره فمقادير الاموال موازين المحبة إذ لايعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك فى مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيأ مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه سلَّم ابنته التى هى قرة عينه و بذل جميع ماله . فحصـل من هـذا أن كل من أحب عالما أو عابداً أو أحب شخصاً

راغبا فى علم أو فى عبادة أو فى خير فانما أحبّه فى الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوّة حبه *

﴿ بيان البغض فى الله ﴾

إعلم أن كل من يحب فى الله لابد أن يبغض فى الله فانك ان أحببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله . ومن أحب لسبب فبالضرورة يبغض لضده . واظهار البغض يكون بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته والإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه أو بالاستخفاف والتغليظ فى القول وذلك بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه . أما مايجرى مجرى الهفوة التى يعلم أنه متندم عليها ولا يصرّ عليها فالأولى فيه الستر والاغماض *

﴿ الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته ﴾

إعلم أنه لايصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم (المَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحَدُكم مَنْ يُخالِلُ) ولا بد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته . وجملتها أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلاخير فى صحبة الأحمق فالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتهما وان طالت . وقد قيل مقاطعة الأحمق قربان الى الله . وأما حسن الخلق فلا بد منه فان من غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن وأطاع هواه فلا خير فى صحبته . وأما

الفاسق المصر على فسقه فلا فائدة فى صحبته بل مشاهدته تهوّن أمر المعصية على النفس وتبطل نفرة القلب عنها ولأن من لايخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأعراض قال الله تعالى (ولا تُطِع مَنْ أغفَلنا قَلبَهُ عَن ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَواهُ) وقال تعالى (فأعْرِضْ عَمَّن تَولَّى عَن ذِكْرِنا ولم يُرِدْ إلاّ الحَياةَ الدُّنيا) وقال تعالى (واتَّبِع سَبيلَ مَن أنابَ إلىَّ) وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق وأوصى علقمة ابنه . فقال : (يا بُنىَّ إذا عَرَضَتْ لكَ إلى صُحبة الرّجالِ حاجَةٌ فأصْحَبْ من إذا خَدَمتَهُ صانكَ وإن صحبتَهُ زانكَ وإن قَعدَتْ بكَ مؤُونةٌ مانكَ إصحَبْ من إذا مَدَدتَ يدَكَ بِخيرٍ مَدَّها وان رأى منك حسنة عدّها وان رأى سيئة سدّها إصحب من اذا سألته أعطاك وان سكتّ ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك إصحب من اذا قلت صدّق قولك وان حاولت أمراً آمرك وان تنازعتما آثرك) قال علىّ رضى الله عنه *

ان أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدّعك شتت فيه شمله ليجمعك

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : لاتصحب إلا أحد رجلين رجلا ترتفق به فى أمر دنياك أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير . وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدري صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد

تزهـد فى الدنيا . فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا وتطلب صحبة العلماء والحـكماء . قال لقمان لابنـه : يابنىّ جالس العلماء وزاحمهـم بركبتيك فان القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر *

﴿ حقوقُ الأخوة والصحبة ﴾

إعلم أن لأخيك عليك حقاً فى المال . وفى الاعانة بالنفس . وفى اللسان والقلب ، وفى العفو . وفي الدعاء . وفى الوفاء والاخلاص . وفى التخفيف . وفى ترك التكلف والتكليف . وذلك يجعلها ثمانية جمل *

﴿ الحق الأول فى المـال ﴾

روى أن مثل الأخوين مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى وذلك لأنهما يتعاونان على غرض واحد وكذلك الاخوان انماتتم أخوّتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد . وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساةُ بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب . أدناها أن تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عنـدك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان أحوجته الى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الأخوة (الثانية) أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال . (والثالثة) هى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك

وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين ومنتهى هـذه الرتبة الايثار بالنفس أيضاً . فان لم تصادف نفسك فى رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الاخوة لم ينعقد بعـد فى الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسميـة لاوقع لها في العـقل والدين . فقد قال ميمون بن مهران من رضى من الاخوان بترك الافضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الأولى فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين روى أن عتبة الغلام رحمه الله جاء الى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك الى أربعة آلاف فقال خـذ ألفين فأعرض عنـه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدّعى الاخوّة في الله وتقول هـذا . وأما الرتبة العليا فهى التى وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله (وأمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُم وَمِما رَزَقْناهُم يُنفِقونَ) أى كانوا خلطاء فى الأموال لايميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهـم من لايصحب من قال نعلى لأنه أضافه الى نفسه . ومنهم من كان يعتق أمتـه اذا حدثته بمجيء أخيه وأخذه من ماله حاجته فى غيبته سروراً بما فعـل . وقال زين العابدين علىّ بن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه مايريد بغير اذن قال لاقال فلستم باخوان وقال ابن عمر رضى الله عنهما أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم رأس شاة فقال أخي فلان أحوج منى اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحـد الى آخر حتى رجع الى الأول بعـد أن تداوله سبعة . وقال أبو سليمان الدارانى لو أن الدنيا كلها لى

فجعلتها فى فم أخ من اخوانى لاستقلالها له . ولما كان الانفاق على الاخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علىّ رضى الله عنه لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب الىّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين . ومن الصفاء فى الاخوة الانبساط فى بيوت الاخوان كما كان عليه كثير من السلف وقد قال الله تعالى (أو صَدِيقِكُم) وقال (أو ما مَلَكْتُم مفاتِحَهُ) اذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته الى أخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله هذه الآية وأذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والاصدقاء *

* الحق الثانى فى الاعانة بالنفس *

وذلك فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة . وهذه أيضا لها درجات فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة . قال بعضهم اذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي فان لم يقضها فكبّر عليه واقرأ هذه الآية (والموتى يَبعَثُهمُ اللهُ) وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم يتردد كل يوم اليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم الا عينه بل كانوا يرون منهم مالم يروا من أبيهم في حياته وكان أحدهم يتردد الى باب دار أخيه يقوم بحاجته من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوةُ اذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه

فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهمّ من حاجتك وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتغنيه عن السؤال الى الاستعانة ولا ترى لنفسك حقاً بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره . وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم . وقال سعيد بن العاص لجليسي عليّ ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدّث أقبلت عليه واذا جلس أوسعت له . وقد قال تعالى (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) اشارة الى الشفقة والاكرام . ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرةٍ دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه *

﴿ الحق الثالث على اللسان ﴾

وذلك بالسكوت مرّة وبالنطق أخرى أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه . وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله . واذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره وموارده ولا يسأل فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج الى أن يكذب فيه . وليسكت عن أسراره التي بثها اليه ولا يبثها الى غيره البتة ولا الى أخصّ أصدقائه ولا يكشف شيأ منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من

لؤم الطبع وخبث الباطن . وأن يسكت عن القدح فى أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذى سبّك مَن بلّغك . ولا ينبغي أن يخفى مايسمع من الثناء عليه فان السرور أولا به يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد . وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت فاذ ذاك لايبالى بكراهته فان ذلك احسان اليه فى التحقيق وان كان يظن أنها اساءة فى الظاهر . أماذكر مساوئه وعيو به ومساوئ أهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم. ويزجرك عنه أمران (أحدهما) أن تطالع أحوال نفسك فان وجدت فيها شيأ واحداً مذموماً فهوّن على نفسك ماتراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال المهذب (والأمر الثانى) أن تعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ فاذا غلبت المحاسن المساوئ فهو الغاية والمنتهى . فالمؤمن الكريم أبداً يحضر فى نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المنافق اللئيم فانه أبداً يلاحظ المساوىَ والعيوب . قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل الفتوة العفو عن زلات الاخوان . ولذلك قال عليه السلام (إستَعيذُوا باللهِ مِنْ جارِ السُّوءِ الَّذِى إن رأى خيراً

سترَهُ وَإن رَأى شرًّا أظهَرَهُ) وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن . فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه أيضاً . وحدُّه أن لاتحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن يحمل على وجه خير . فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة . فاحمله على سهو ونسيان ان أمكن . وسوء الظن يدعو الى التجسّس والتحسّس وقد قال صلى الله عليه وسلم (لاتَحَسَّسُوا ولا تَجسَّسُوا ولا تَقاطَعُوا ولا تدَابَرُوا وكونوا عِبادَ اللهِ إخوَاناً) والتجسس فى تطلع الأخبار . والتحسس بالمراقبة بالعين . فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين . واعلم أنه لايتم ايمان المرء مالم يحب لأخيه مايحب لنفسه وأقل درجات الاخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به . ومنشأ التقصير فى ستر العورة أو السعى فى كشفها الداء الدفين وهو الحقد والحسد . ومَن فى قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف . وأمره مخطر . وقلبه خبيث لايصلح للقاء الله (ومن ذلك) أن يسكت عن افشاء سره الذى استودعه وله أن ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجباً في كل مقام . فانه كما يجوز للرجل أن يخفى عيوب نفسه وأسراره وان احتاج الى الكذب فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه فان أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لايختلفان الا بالبدن هذا حقيقة الأخوة وقد قال عليه السلام (مَنْ سترَ عَورَةَ أخيهِ سَترَهُ اللهُ تعالى فى الدُّنيا والآخِرَةِ) وقال عليه السلام (إذا حدّثَ الرّجُلُ بِحدِيثٍ ثمّ الْتفَتَ فهُوَ أمانَةٌ)وقال (المُجالِسُ بالأمانَةِ) وفي رواية (إنَّما يَتجالَسُ المُتجالِسانِ بالأمانَةِ ولا

يحلُّ لِأحدِهما أن يُفشِيَ على صاحِبهِ ما يَكْرَهُ) قيل لبعضهم كيف حفظك للسرّ قال أنا قبره فان صدور الأحرار قبور الأسرار . وأفشى بعضهم سرًّا له الى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت . وقال العباس لابنه عبد الله انى أرى هذا الرجل - يعنى عمر رضي الله عنه - يقدمك على الأشياخ فاحفظ منى خمساً (لاتُفشِيَنَّ لهُ سِرًّا ، ولا تَغتابَنَّ عِندَهُ أحداً ، ولا يُجَرِّبَنَّ عَليكَ كذِباً ، ولا تَعصِيَنَّ لهُ أمراً ، ولا يَطَّلِعَنَّ مِنكَ على خِيانةٍ) فقال الشعبى كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف (ومن ذلك) السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل مايتكلم به أخوك. قال ابن عباس لاتمار سفيها فيؤذيك ولاحليما فيقليك . وقد قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُبطِلٌ بُنِيَ لهُ بَيتٌ فى رَبَضِ الجَنَّةِ . ومَنْ تَرَكَ المِراءَ وهُوَ محِقٌّ بُنِيَ لهُ بَيتٌ فى أعلَى الجَنَّةِ) هذا مع أن تركه مبطلا واجب . وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشدّ على النفس من السكوت على الباطل . وانما الأجر على قدر النصب . وأشد الأسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع أوّلا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام (لاتَدابَرُوا وَلا تَباغَضُوا وَلا تَحاسَدُوا وَلا تَقاطَعُوا وكُونوا عِبادَاللهِ إخوَاناً) وقد قال صلى الله عليه وسلم (المُسلِمُ أخُو المُسلِمِ لا يَظلِمُهُ وَلا يَخذِلُهُ وَلا يَحقِرُهُ بِحَسبِ المَرءِ مِنَ الشَّرِّ أن يُحقِّرَ أخاهُ المسلِمَ) وأشد الاحتقار المماراة فان من ردّ على غيره كلاماً فقد نسبه إلى الجهل أو الغفلة والسهو

عن فهم الشئ على ماهو عليه . وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفى حديث أبى امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال (ذَرُوا المِراءَ لِقِلَّةِ خَيرِهِ وذَرُوا المِراءَ فإنّ نَفعَهُ قَليلٌ وَإنّهُ يُهيّجُ العَدَاوَةَ بَينَ الإِخْوَانِ) وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروءته . وذهبت كرامته وقال غيره اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم قال الحسن : لا تشترى عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة إلا هذا فكيف تضام الأخوّة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تُمارِ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه وقد قال عليه السلام (إنّكم لا تَسَعُونَ النَّاسَ بأمْوَالِكمْ وَلكِنْ يَسَعُهُمْ مِنكم بَسطُ وَجْهٍ وَحُسنُ خُلُقٍ) والمماراة مُضادّة لحسن الخلق واعلم أن قوام الاخوة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة *

* الحق الرابع على اللسان بالنطق *

الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضى أيضا النطق بالمحاب بل هو أخصّ بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب أهل القبور وانما يراد بالاخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه أن يتودد اليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يجب أن يتفقد فيها

كالسؤال عن عارض إن عرض واظهار شغل القلب بسببه . واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة فى السراء والضراء . وقد قال عليه السلام (إذا أحَبَّ أحَدُكم أخاهُ فَلْيُخبِرْهُ) وانما أمر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه أحبك بالطبع لامحالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علّم النبى صلى الله عليه وسلم فيه الطريق فقال (تَهادُوا تَحابُّوا) ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه اليه فى غيبته وحضوره قال عمر رضى الله عنه ثلاث يصفين لك ودّ أخيك أن تسلّم عليه اذا لقيته أولا وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه * ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من أعظم الاسباب فى جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطّه وشعره وتصنيفه وجميع مايفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لابد منه . وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع اظهار الفرح فان اخفاء ذلك محض الحسد * ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك بل على نيته وان لم يتم ذلك وأعظم من ذلك تأثيراً فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض . فحق الاخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت

المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الاخوة . واهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه . فأخْسِسْ بأخٍ يراك والكلاب تفترسك وتمزّق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك . وتمزيق الاعراض أشد على النفوس من تمزيق اللّحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال (أيُحِبُّ أحَدُكم أن يأكُلَ لحمَ أخِيهِ مَيْتًا) فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة وقال بعضهم ماذكر أخ لى بغيب الا تصورته جالساً فقلت فيه مايحب أن يسمع لو حضر * ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيه الى العلم بأقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه فى الدين والدنيا . فان علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوّفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبّهه على عيوبه . ولكن ينبغى أن يكون ذلك في سرّ لا يطلع عليه أحد . فما كان على الملأ فهو فضيحة . وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة . قال ذو النون لاتصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة *

ولا تظنن أن فى نصح أخيك ايحاشا لقلبه فان فى تنبيهه على مالا يعلمه عين الشفقة وهو استمالة القلوب ـ أعنى قلوب العقلاء وأما الحمقى فلا يلتفت اليهم ـ فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها

لتزكى نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي فى الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهى مخلوقة من نار الله الموقدة . ولذلك كان عمر رضى الله عنه يستهدى ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى الى أخيه عيوبه ومن كتاب بعض السلف لأخيه (اعلم أنَ من قرأ القرآن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين) وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين . إذ قال : (وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) وهذا فى عيب هو غافل عنه فأما مايظهره فلابد من التلطف بنصحه بالتعريض مرة والتصريح أخرى الى حد لايؤدى الى الايحاش فان علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه أولى . وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه . أما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه . والتعرضُ لذلك ليس من النصح فى شيء نعم ان كان بحيث يؤدى استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب فى السرّ خير من القطيعة . والتعريض به خير من التصريح . والمكاتبة خير من المشافهة . والاحتمال خير من الكل *

﴿ الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات ﴾

هفوة الصديق ان كانت فى دينه فلا بد من التلطف فى نصحه كماقدمنا

فان أصرّ فمن السلف من رأى مقاطعته ومنهم من رأى ادامة حق مودته و بغض عمله وأما زلته في حقه بما يوجب إلحاشه فلا خلاف فى أن الأولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصوّر تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوّة فقد قيل ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً فان لم يقبله قلبك فردّ اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر اليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك وقال الأحنف (حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة) ومهما اعتذر اليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره فالمؤمن ان غضب فهو سريع الرضاء * وينبغى أن لا يبالغ فى البغضة عند الوقيعة قال تعالى (عَسى اللهُ أن يَجْعَلَ بَيْنكم وبَينَ الّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) وقال عمر رضى الله عنه : لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا : وهو أن تحب تلف صاحبك *

﴿ الحق السادس الدعاء للأخ ﴾

فتدعو له فى حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به كما تدعو لنفسك وفى الحديث : اذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك . وفى حديث آخر : دعوة الرجل لأخيه فى ظهر الغيب لاتردُّ . وكان أبو الدرداء يقول : انى لأدعو لسبعين من اخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم : وكان محمد بن يوسف الأصفهانى يقول : وأين مثل الاخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك وينعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك

مهتم مما قدّمت وما صرتَ اليه يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى وعن بعض السلف : الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحيا. *

﴿ الحق السابع الوفاء والاخلاص ﴾

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه و بعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى . وروي أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزاً دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال (إنّها كانَتْ تأتينا أيّامَ خَدِيجَةَ وَإنّ كَرَمَ العهد مِنَ الدّين) * فمن الوفاء للاخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به . ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر لدلالته على قوة الشفقة والحب ومن ثمرات المودّة فى الله أن لا تكون مع حسد فى دين ودنيا وكيف يحسده وكل ماهو لاخيه فاليه ترجع فائدته و به وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال (ولا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حاجَةً ممّا أوتُوا ويؤْثِرُونَ عَلى أنفُسِهِم) ووجود الحاجة هو الحسد *

(ومن الوفاء) أن لا يتغير حاله فى التواصل مع أخيه وان ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه والترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم قال الشاعر *

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم بالمنزل الخشن

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين

بل من الوفاء له المخالفة والنصح لله *

ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن أسبابها كما قيل *

وجدتُ مصيباتِ الزّمان جميعَها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت . وقال : لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة مايخيل إلىّ أن حسرتهم ذهبت من قلبى *

(ومن الوفاء) أن لايسمع بلاغات الناس على صديقه *

(ومن الوفاء) أن لايصادق عدوّ صديقه قال الشافعى رحمه الله اذا أطاع صَدِيقُك عدوَّكَ فقد اشتركا فى عداوتك [1] *

﴿ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف ﴾

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته و يرفهه عن أن يحمّله شيئا من اعبائه ، فلا يكلفه القيام بحقوقه بل

---

(١) أقول ما ألطف ما قاله ابن المقفع فى الدرة اليتيمة فى باب الصديق فى هذا المقام ما مثاله : إن رأيت صاحبك مع عدوّك فلا يغضبنك ذلك فانما هو أحد رجلين ان كان رجلا من إخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوّك لشر يكفه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك . فأما صديقك فما أغناك أن يحضره ذو ثقتك . وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأى حق تقطعه عن الناس وتكلفه أن لايصاحب ولا يجالس الا من تهوى اه وهو كلام جيد يأخذ بيد الواقف الى الانصاف

لايقصد بمحبته الا الله تعالى استعانة به على دينه واستئناساً بلقائه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم (من اقتضى من اخوانه مالا يقتضونه منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم) وتمام التخفيف بطيّ بساط التكليف حتى لايستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه . وقال عليّ رضى الله عنه . شرّ الاصدقاء مَنْ تكلّف لك ومَنْ أحوجك الى مداراة والجأك الى اعتذار . وقال الفضل . انما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه . وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول . أثقل اخوانى علىّ من يتكلف لى وأتحفظ منه وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى .

(ومن التخفيف) وترك التكلف أن لايعترض فى نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على أن أحدهم ان أكل النهار كله لم يقل له صاحبه صمْ . وان صام الدهر كله لم يقل له افطر . وان نام الليل كله لم يقل له قُمْ . وان صلى الليل كله لم يقل له نم . وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان . وقد قيل (مَن سقطَتْ . كُلْفَتُهُ دامت أُلْفَتُهُ . ومن خفت مؤنتُه دامت مودّتُه) وقال بعضهم . اذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به اذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الاهل فى بيت أخيه لان البيت يتخذ للاستخفاء فى هذه الامور الخمس والا فالمساجد أروح لصلاة

المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب فى تسليمهم يشير الى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه (مرحبا وأهلا وسهلا) أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان . ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا . ولك عندنا سهولة فى ذلك كله أى لا يشتدّ علينا شئ مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف الا بأن يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ماترى له فهذه أقلّ الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا فى عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم (بِحَسْبِ امرِئٍ مِنَ الشّرِّ أنْ يُحقِّرَ أخاهُ المُسلِمَ) ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور اخوانه فى كل مايقصده ويقبل اشارتهم فقد قال تعالى (وشاوِرْهُم فى الأمرِ) فهذا جامع حقوق الصحبة . ولا يتم ذلك الا بأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك (أما البصر) فبأن تنظر اليهم نظر مودّة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم . وتتعامى عن عيوبهم . ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى كلّ من جلس اليه نصيباً من وجهه لا يظن جليسه إلاّ أنه أكرم الناس عليه وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه (وأما السمع) فبأن تسمع كلامهم متلذذاً بسماعه

ومصدّقا به ومظهراً للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادّة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فان أرهقك عارض اعتذرت اليهم *

(وأما اللسان) فقد ذكرنا حقوقه ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلاّ بما يفقهون (وأما اليدان) فأن لا يقبضهما عن معاونتهم فى كلّ مايتعاطى باليد (وأما الرجلان) فبأن لا يتقدمهم إلاّ بقدر مايقدمونه ولا يقرب منهم إلاّ بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلاّ بقعودهم ويقعد متواضعاً حيث يقعد *

﴿ خاتمة فى جملة من آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق ﴾

قال بعض الحكماء إن أردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوّك بوجه الرضا وتوقّر من غير كبر وتواضع فى غير مذلة وكن فى جميع أمورك فى أوسطها * فكلا طرفى قصد الأمور ذميم * ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هادئاً وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر مايخصك ولا تتصنع تصنّع المرأة فى التزيّن ولا تتبذل تبذل العبد ولا تلحّ فى الحاجات ولا

تشجع أحداً على الظلم ولا تعلّم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم وخوّفهم من غير عنف ولِنْ لهم من غير ضعف واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنّب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من ورائك واذا هدأ غيظك فتكلم ولا تجعل مالك أكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب الى التواضع وأن تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ولا تبصق فى جهة القبلة وايّاك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى صلى الله عليه وسلم (مَنْ جَلسَ فى مَجْلسٍ فَكثُرَ فيهِ لَغَطُهُ فقالَ قَبلَ أنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلسِهِ ذلكَ * سُبحانَكَ اللّهمَّ وبِحمدِكَ أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ أنتَ أستَغفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ إلاّ غُفِرَ لهُ ما كانَ فى مَجْلسِهِ ذلكَ) *

﴿ بيان حق المسلم والرحم والجوار ﴾

إعلم أن الانسان لحاجته لمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بدٌّ من تعلم آداب المخالطة وكل مخالط ففى مخالطته أدب والأدب على قدر حقه

وحقه على قدر رابطته إمّا القرابة وهى أخصّها أو أخوة الاسلام وهى أعمها وينطوى فى معنى الاخوة الصداقة والصحبة واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب والدرس والصداقة أو الاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار و بعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى أن البلدى فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن لاختصاصه بحق الجوار فى البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة والاختلاط *

﴿ حقوق المسلم ﴾

(هى أن تُسلّمَ عليهِ إذا لقِيتَهُ) وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبرّ قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ومنها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ماتكره لنفسك قال صلى الله عليه وسلم (مَثلُ المُؤمِنين فى تَوادّهِمْ وتراحُمِهِمْ كمَثَلِ الجَسَدِ إذا اشتَكى عِضْوٌ منهُ تداعَى سائِرُهُ بالحُمّى والسَّهَرِ) وعنه صلى الله عليه وسلم (المُؤمِنُ لِلمُؤمِنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضاً) ومنها أن لايؤذى أحداً من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم (ألمُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ * والمُؤمِنُ مَنْ أمِنَهُ المُؤمِنُونَ على أنفُسِهِمْ وأموالِهِمْ والمُهاجِرُ مَنْ هَجرَ السُّوءَ واجتَنبَهُ) وعنه صلى الله عليه وسلم (لايَحِلُّ لِمُسلِمٍ أن يُروّعَ مُسلماً) ومنها أن يتواضع لكل

مسلم ولا يتكبّر عليه قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ اللهَ أوحى إلىَّ أن تواضعُوا حتَّى لا يَفخرَ أحدٌ على أحدٍ) ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم مايسمع من بعض . ففى الحديث (لا يَدخُلُ الجنَّةَ قتَّاتٌ) ومنها أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال صلى الله عليه وسلم (لا يَحِلّ لِمُسلِمٍ أن يَهجُرَ أخاهُ فَوقَ ثَلاثٍ يَلتَقِيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا وخيرُهُما الَّذِى يَبدَأُ بالسَّلامِ) وقالت عائشة رضي الله عنها : ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلاّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله . وفى الحديث (ما زادَ اللهُ رجُلاً بعَفوٍ إلاّ عِزًّا) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل . وفى أثر : اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله . وفى آخر : رأس العقل بعد الدين التودّد الى الناس واصطناع المعروف الى كل برّ وفاجر . ولم يكن أحد يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلاّ باذنه بأن يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف ومنها أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب طريقته ومنها أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان وفى الحديث (لَيسَ مِنّا مَنْ لم يُوَقِّرْ كَبِيرَنا ولم يَرْحَمْ صَغِيرَنا) والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا قدم من سفره تلقى بالصبيان ثم يأمر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر

أصحابه أن يحملوا بعضهم . وكان يؤتى بالصبيّ الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه فى حجره فربما بال الصبيّ ثم يغسل ثوبه صلى الله عليه وسلم بعد ومنها أن يكون مع كافة الخلق مستبشراً طلق الوجه رقيقاً قال صلى الله عليه وسلم (أَتدرُونَ عَلى مَنْ حُرِّمَتِ النَّارُ) قالوا الله ورسوله أعلم قال (عَلى اللّيّنِ الهيّنِ السَّهلِ القَريبِ) وقال صلى الله عليه وسلم (إتّقوا النَّارَ ولو بِشَقِّ تَمرَةٍ فمَنْ لم يَجِدْ فبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) ومنها أن لا يعد مسلما بوعد الا ويفى به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الْعِدَةُ عَطِيةٌ) وقال (العِدَةُ دَيْنٌ) وقال (ثَلاَثٌ مَن كنّ فيهِ فَهُوَ مُنافِقٌ وَإن صامَ وصلّى مَن إذا حدَّثَ كَذَبَ وَإذا وَعدَ أخلَفَ وَإذا أُؤْتُمِنَ خانَ) *

(ومنها) أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتى اليهم إلاّ بما يحب أن يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم (يَا أبا الدّرداءِ أحسِنْ مُجاوَرةَ مَن جاوَرَكَ تَكُنْ مُؤْمناً وأحِبَّ للنّاسِ ماتُحبُّ لنَفسِكَ تَكُنْ مُسلماً) *

(ومنها) أن يزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علوّ منزلته فينزل الناس منازلهم *

(ومنها) أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم (أَفْضلُ الصَّدَقَةِ إصلاحُ ذَاتِ البَينِ) وفى الحديث (لَيسَ بِكذّابٍ مَن أصلَحَ بَينَ اثنينِ فَقالَ خَيراً) وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب . ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه وقال صلى الله عليه وسلم (كُلُّ الكذِبِ مكتوبٌ

إلاّ أن يكذِبَ الرّجلُ فى الحَربِ فإنّ الحَربَ خُدعَةٌ . أو يَكذِبَ بَينَ اثنينِ فيُصلِحَ بينَهُما . أو يَكذِبَ لِامرأتِهِ ليُرضِيَها) *

(ومنها) أن يستر عورات المسلمين كلهم وقال صلى الله عليه وسلم (مَن ستَرَ على مُسلمٍ سترَهُ اللهُ تَعالى فى الدُّنيا والآخِرَةِ) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يرَى المؤمِنُ مِن أخيهِ عورَةً فيستُرُها عليهِ إلاّ دخلَ الجنّةَ) وقال صلى الله عليه وسلم (يامعشَر مَن آمَنَ بلسانِهِ ولم يدخُلِ الإيمانُ فى قَلبِهِ لاتَغتابوا النّاسَ ولا تَتبَّعُوا عوراتِهِم فإنّهُ من يَتّبع عورةَ أخيهِ المُسلِمِ يتّبعِ اللهُ عورَتَهُ ومَن يَتّبعِ اللهُ عورَتَهُ يَفضَحُهُ ولو كانَ فى جوفِ بيتِهِ) وروى عن بعض الخلفاء أنه كان يعس من الليل فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال ياعدوّ الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت أيها الأمير لاتعجل فان كنتُ عصيتُ الله واحدة فقد عصيتَ الله فىّ ثلاثا قال الله تعالى (ولا تَجَسَّسُوا) وقد تجسَّست وقال الله تعالى (وليسَ البِرّ بأن تأتوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِها) وقد تسورت علىّ . وقد قال الله تعالى (لاَتدخُلُوا بُيوتاً غيرَ بُيوتِكُم) الآية وقد دخلت بيتى بغير إذن ولا سلام . فقال الأمير هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله لئن عفوت عنى لا أعود الى مثلها أبداً فعفا عنه وخرج وتركه . وقد قال صلى الله عليه وسلم (كُلُّ أُمَّتِي مُعافًى إلاّ المجاهِرين وإنّ مِنَ المجاهَرَةِ أن يَعمَلَ الرَّجُلُ السُّوءَ سِرًّا ثمّ يُخبِرَ بِهِ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنِ استَمَعَ خبرَ قومٍ وهُم لهُ كارِهُونَ صُبّ فى أذُنِهِ

الآنُكُ يومَ القيامةِ) *

(ومنها) أن يتَّقى مواضع التُّهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فانهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى (ولا تَسبُّوا الَّذينَ يَدعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيسبُّوا اللهَ عَدْوًّا بِغيرِ عِلمٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (كيفَ ترَوْنَ مَنْ سبَّ أبوَيْهِ) فقالوا وهل من أحد يسب أبويه فقال (نَعم يَسبُّ أبوَىْ غَيرِهِ فيَسبُّونَ أبوَيْهِ) وقال عمر رضى الله عنه : من أقام نفسه مقام التهم فلايلومن من أساء به الظن *

(ومنها) أن يشفع لكلّ من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة و يسعى فى قضاء حاجته بمايقدرقال صلى الله عليه وسلم(إشْفَعُواتوأجرُوا)*

(ومنها) أن يبدأ من يلقى بالسلام قبل الكلام و يصافحه عندالسلام قال الله تعالى(وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فحيُّوا بأحسَنَ مِنْها أو رُدُّوها) وقال صلى الله عليه وسلم (والَّذى نَفسي بيدِهِ لاتَدخلوا الجَنَّةَ حتَّى تؤْمنُوا ولاتؤمنُوا حتَّى تَحابُّوا أوَلاَ أدلُّكم على عَملٍ إذا عَمِلتمُوهُ تَحابَبتم)قالوا بلى يارسول الله قال (أفْشوا السَّلاَمَ بَينكُمْ) وعنه صلى الله عليه وسلم (يُسلِّمُ الرَّاكبُ على المَاشى واذا سلَّمَ عَنِ القَومِ واحِدٌ أجزأ عنهُم) وكان أنس رضى الله عنه يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك . وروى أنه صلى الله عليه وسلم مرّ فى المسجد يوماً وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وقال صلى الله عليه وسلم (إذا انتَهى

أحـدُكم إلى مَجلِسٍ فليُسلّم فإن بدا لهُ أن يَجلسَ فَليجْلس ثمّ إذا أقامَ فليُسلّم فليستِ الأولى بأحقّ مِنَ الأخـيرَةِ) وروى أن من تمام التحية المصافحة . وقال الحسن (المصافحة تزيد فى الود) ولا بأس بقبلة يد المعظم فى الدين تبركا به وتوقيراً له . وروى أنه صلى الله عليه وسلم أذن فى تقبيل يده ورأسه . والانحناء عند السلام منهىّ عنه . والالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر . والأخـذ بالركاب فى توقير العلماء ورد به الأثر فعـل ذلك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت . وقال صـلى الله عليه وسـلم لا يُقِم الرّجلُ الرّجلَ مِنْ مَجلسهِ ثمّ يَجلسُ فيهِ ولـكن توسّعُوا وتفسّحُوا) و يستحب للداخل إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لاينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثانى فجلس خلفهم وأما الآخر فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فآوى الى الله فآواه الله وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه) وسلمت أم هانئ على النبى صلى الله عليه وسلم فقال (مَن هذهِ) فقيل له أم هانئ فقال عليه السلام (مرحباً يا أمّ هانِئ) *

(ومنها) أن يصون عرض أخيـه ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويردّ عنـه ويناضل دونه وينصره فان ذلك يجب عليـه بمقتضى أخوة الاسلام . وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما مِنِ امرِئ

مُسلمٍ ينصُرُ مُسلماً فى موضعٍ يُنتَهكُ فيه عِرضهُ ويُستَحلُّ حُرمتهُ إلاّ نَصرَهُ اللهُ فى موطِنٍ يُحبُّ فيـه نصرَهُ وما من امْرِىءٍ خذَلَ مُسلماً في موطنٍ تُنتَهكُ فيه حُرمتهُ إلاّ خذَلهُ اللهُ فى موضعٍ يحبُّ فيه نُصرَتَهُ) *

(ومنها) تشميت العاطس قال عليه السلام فى العاطس (يَقولُ الحمدُ للهِ على كلّ حالٍ ويقولُ الّذى يُشمّتهُ يرحمكم اللهُ ويردُّ عليهِ العاطسُ فيقولُ يهديكم اللهُ ويُصلحُ بالَكم) ويستحب اذا عطس أن يغض صوته ويخمّر وجهه واذا تثاءب أن يضع يده على فيه *

(ومنها) أنه اذا بلى بذى شر فينبغي أن يجامله ويتقيه . قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن فى الظاهر . وقال أبو الدرداء (إنا لنبش فى وجوه أقوام وأن قلوبنا لتلعنهم) وهـذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى (إدْفَعْ بالّتى هِي أحسنُ) قال ابن عباس فى معنى قوله تعالى (ويدرَؤُنَ بالحَسنةِ السيئةَ) أى الفحش والأذى بالسلام والمداراة . وقال فى قوله تعالى (ولَولا دفْعُ اللهِ النّاسَ بعضَهُم ببعْضٍ) قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة . وقالت عائشة رضى الله عنها : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إئْذَنوا لهُ فَبئْسَ رجلُ العَشيرَةِ هُو) فلما دخـل ألان له القول حتى ظننت أن له عنـده منزلة فلما خرج قلت له لما دخـل قلت الذى قلت ثم ألنت له القول فقال (ياعائشةُ إنّ شَرّ النّاسِ مَنزلةً عندَ الله يومَ القِيامةِ من تركَهُ النّاسُ إتّقاء فُحشهِ) وفى الخبر (ما وَقَى الرّجلُ بِهِ عِرضَهُ فهُو لهُ صدقةٌ) وقال

محمد بن الحنفية : ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا حتى يجعل الله له فرجا *

(ومنها) أن يختلط بالمساكين ويحسن الى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (اللّهمّ أحيِني مِسكِيناً وأمِتْنِي مِسكيناً واحْشُرنِي فى زُمرَةِ المَساكِينِ) وقد روي أن سليمان عليه السلام فى ملكه كان إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا . وفي الخبر (لاتَغبِطَنَّ فاجِراً بِنعْمَة فإنَّكَ لاتدرِى إلامَ يَصيرُ بَعدَ المَوْتِ فإنّ مِنْ وَرائِهِ طالِبا حَثيثا) *

(وأما اليتيم) فقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ ضَمَّ يَتيماً حتَّى يَستغنِيَ فَقد وجَبَتْ لهُ الجَنّةُ وقال صلى الله عليه وسلم (أنا وَكافِلُ اليَتيمِ كَهاتَيْنِ) وهُوَ يشيرُ بأصبعيهِ وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ وَضعَ يدَهُ على رأسِ يَتيمٍ ترَحُّما كانَتْ لهُ بِكُلّ شَعرَةٍ تمرُّ عَلَيْها يدُهُ حَسنةٌ) وقال صلى الله عليه وسلم (خَيرُ بَيتٍ مِنَ المُسلمينَ بَيتٌ فيهِ يَتيمٌ يُحسَنُ إليْهِ وشرُّ بيتٍ مِنَ المُسلمينَ بَيتٌ فيه يَتيمٌ يُساءُ اليهِ) *

(ومنها) النصيحة لكل مسلم والجهد فى إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم (لايُؤمِنُ أحدُكم حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ مايُحبُّ لِنفسِهِ) وعنه (مَن أقَرَّ عينَ مُؤمنٍ أقرّ اللهُ عينَهُ يومَ القيامةِ) وعنه (مَنْ فَرّجَ عَنْ مؤمنٍ مغمُومٍ أو أعانَ مظلوما غُفرَ لهُ) وعنه (إنّ مِن أحَبّ الأعْمالِ إلى اللهِ إدخالَ السُّرُورِ على قَلْبِ المُؤمِنِ وَأن يُفرّجَ عَنهُ غما أو يقضِيَ

عنهُ دَيْنا أو يُطعِمهُ مِنْ جُوعٍ) *

(ومنها) أن يعود مرضاهم وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية . وغض البصر عن عورات الموضع . وعند الاستئذان لايقابل الباب . ويدق برفق . ولا يقول انا اذا قيل له مَنْ . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (إذا عادَ المُسلمُ أخاهُ أو زَارهُ قال اللهُ تَعالى طِبتَ وطابَ مَمشاكَ وتَبوّأتَ مَنزِلا فى الجَنّةِ) وعن عثمان رضي اللهُ عنه قال مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : (بِسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيمِ * أعيذُكَ باللهِ الأحدِ الصَّمدِ الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكنْ لهُ كفواً أحدٌ مِن شرّ ماتَجِدُ) قاله مراراً ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد . وقال طاوس : أفضل العيادة أخفها وجملة أدب المريض حسن الصبر . وقلة الشكوى والضجر . والفزع الى الدعاء . والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء *

(ومنها) أن يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم (منْ شَيَّعَ جنازَةً فَلهُ قيرَاطٌ مِنَ الأجرِ فإن وقَفَ حتّى دُفِنَ فَلهُ قيرَاطانِ والقيراطُ مِثلُ أحدٍ) ـ جبل عظيم فى المدينة المنورة ـ والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار *

(ومنها) أن يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم (مارأيتُ منظَراً إلاّ والقبرُ أفظعُ منهُ) وعن خاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكّر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه

وخانهم : وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يامیمون هذه قبور آبائى كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات وأصاب الهوامُّ من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله *

(وآداب المعزى) خفض الجناح . واظهار الحزن . وقلة الحديث . وترك التبسم *

(وآداب تشييع الجنازة) لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر فى الموت والاستعداد له والاسراع بالجنازة سنة (فهذه) جمل آداب تنبّه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق (والجملة الجامعة) فيه أن لا تستصغر منهم أحداً حيا كان أو ميتا فتهلك . لأنك لا تدرى لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم في حال دنياهم بعين التعظيم فانّ الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة إلاّ إذا رأيت منكراً فى الدين فتعادى أفعالهم القبيحة ، ولا تسكن اليهم فى ثنائهم عليك فى وجهك وحسن بشرهم لك فقد لا يكون لذلك حقيقة باطنا ، ولا تشك اليهم أحوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع أن يكونوا لك فى الغيب والسر كما فى العلانية فذلك طمع كاذب ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ، وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها

فهو أخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدواً تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظه عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص . واذا بلغك منهم غيبة أو رأيت منهم شراً فكل أمرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم . ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر . وكن فيهم سميعاً لحقهم أصمّ عن باطلهم نطوقا بحقهم . واحذر صحبة أكثر الناس فانهم لا يقيلون عشرة . ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ، ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير . ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة . بأن تصحبه مدة فتجربه فى أحواله أو تعامله بالدينار والدرهم أو تقع فى شدة فتحتاج اليه أو تسافر معه فان رضيته فى هذه الأحوال فاتخذه أبا لك ان كان كبيراً ، وابنا لك ان كان صغيراً ، أو أخا ان كان مثلا لك، فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق *

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوّة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبى صلى الله عليه وسلم (الجيرانُ ثلاثةٌ جارٌ لهُ حقٌّ واحدٌ وجارٌ لهُ حَقّانِ وجارٌ لهُ ثلاثةُ حُقوقٍ فالجارُ الذى لهُ ثلاثةُ حُقوقٍ الجارُ المسلمُ ذو الرَّحِمِ فلهُ حَقُّ الجِوَارِ وحقُّ الإِسلامِ وحقُّ الرَّحِمِ وأمّا الذى لهُ حَقّانِ فالجارُ المسلمُ لهُ حقُّ الجِوَارِ وحقُّ الإِسلامِ وأمّا الذى لهُ حقٌّ واحدٌ فالجارُ المشرِكُ) فانظر

كيف أثبت للمشرك حقا بمجرّد الجوار . وقال صلى الله عليه وسلم (أحسنْ مجاوَرَةَ مَنْ جاوَرَكَ تكنْ مُسلماً) وقال صلى الله عليه وسلم (ما زالَ جبريلُ يُوَصّينى بالجارِ حتى ظَنَنتُ أنه سَيُوَرّثُهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخرِ فلْيُكْرِمْ جارَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يُؤْمِنُ عبدٌ حتى يَأمَنَ جارُهُ بَوائقَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يَمْنَعنّ أحدُكم جارَهُ أنْ يَغْرِزَ خشبةً فى جداره) وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما لى أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم (هى فى النار)وعن النبى صلى الله عليه وسلم (أربعونَ دارًا جارٌ) قال الزهرى يعنى أربعين عن يمينه و يساره وخلفه و بين يديه . واعلم انه ليس حق الجوار كفّ الأذى فقط بل احتمال الأذى بل لابدّ فوقه من الرفق وإسداء الخير والمعروف . وحكى أن ابن المقفّع بلغه أن جارًا له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظلّ داره فقال ما قمت إذًا بحرمة ظل داره إن باعها مُعدماً فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها . وجملة حق (الجار) أن يبدأ بالسلام . ولا يكثر عن حاله السؤال . و يعوده في المرض . و يعزيه فى المصيبة و يقوم معه فى العزاء . و يهنئه في الفرح . و يظهر الشركة فى السرور معه . و يصفح عن زلّاته . ولا يطلع من السطح الى عوراته . ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره . ولا يضيق طريقه الى الدار . ولا يتبعه النظر فيما يحمله

الى داره . ويستر ما ينكشف له من عوراته . وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة . ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته . ولا يسمع عليه كلاما . ويغض بصره عن حرمته . ولا يديم النظر الى خادمته . ويتلطف لولده فى كلمته . ويرشده الى مايجهله من أمر دينه ودنياه . هذا الى جملة الحقوق التى ذكرناها لعامة المسلمين *

﴿ حقوق الأقارب والرحم ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَقُولُ اللهُ تَعالى أنا الرَّحمَنُ وهذِهِ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لها إسماً مِنْ اسمِي فَمَنْ وصلَها وصلْتُهُ ومَنْ قَطَعها قَطعتُهُ) وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أفضل قال (أتْقاهُم للهِ وأوْصلُهُمْ لِرَحِمِهِ وآمَرُهم بالمعْرُوفِ وأنهاهُم عَنِ المُنكَرِ) وقال صلى الله عليه وسلم (الصَّدَقَةُ عَلى المِسكينِ صَدَقَةٌ وهِيَ عَلى ذِى الرَّحِمِ اثْنَتانِ صدَقة وصلَةٌ) ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملا بقوله تعالى (لَنْ تَنالوا البِرَّ حتَّى تُنفِقوا مِمَّا تُحبُّونَ) قال يارسول الله هى فى سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام (وَجبَ أجرُكَ واقْسِمْهُ فى أقارِبِكَ) *

﴿ حقوق الوالدين والولد ﴾

لا يخفى أنه اذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها . قال صلى الله عليه وسلم (بِرّ أُمَّكَ

وأباكَ وأختَكَ وأخاكَ ثمّ أدناكَ فأدناكَ) وقال رجل يا رسول الله هل بقى علىّ من برّ أبوىّ شئ أبرهما به بعد وفاتهما قال (نَعمْ الصَّلاَةُ عَليهِما والاستغفارُ لهما وإنفاذُ عهدِهما وَإكْرامُ صدِيقِهما وصلةُ الرّحمِ الّتى لاتوصَلُ إلاّ بِهِما) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ مِنْ أبَرّ البِرّ أن يصِلَ الرّجُلُ أهلَ ودّ أبيهِ بعد أن يُوَلّى الأبُ) وعنه صلى الله عليه وسلم (رَحِمَ اللهُ والداً أعانَ ولدَهُ على بِرّهِ) أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله وعنه صلّى الله عليه وسلم (ساوُوا بَينَ أولادِكم فى العطيَّةِ) وعنه أيضا (مِن حقّ الوَلد على الوَالِدِ أنْ يُحسنَ أدَبهُ ويُحسّن اسمَهُ) ويستحب الرفق بالولد رأى الأقرع بن حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقبّل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحداً منهم فقال عليه السلام (إنّ منْ لايَرحمُ لايُرْحَمُ) وقال معاوية للأحنف بن قيس ماتقول فى الولد قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا . وعماد ظهورنا . ونحن لهم أرض ذليله . وسماء ظليله . وبهم نصول على كل جليله . فان طلبوا فاعطهم . وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم . ويحبوك جهدهم . ولا تكن عليهم قفلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك . ويكرهوا قربك . فقال معاوية لله أنت ياأحنف لقد أرضيتنى عمن سخطت عليه من ولدى . ووصله بعطية عظمى *

واعلم أن أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض. وليس للولد أن يسافر فى مباح أو نافلة إلا باذنهما وقال صلى الله عليه وسلم (حقُّ كَبيرِ الإخوَة على صَغيرِهم كَحَقّ الوَالِد على وَلَدِه) *

كتاب العزلة والمخالطة

اعلم أن من السلف من آثر العزلة لفوائدها كالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والتخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء الى غير ذلك وأما أكثر السلف فذهبوا الى استحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتآلف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البرّ والتقوي وان فوائد العزلة المتقدمة يمكن نيلها من المخالطة بالمجاهدة ومغالبة النفس . وبالجملة فللمخالطة فوائد عظيمة تفوت بالعزلة فان قلت ماهى فوائد المخالطة والدواعي اليها فاعلم أنها هى التعليم والتعلم. والنفع والانتفاع . والتأديب والتأدب . والاستئناس والايناس . ونيل الثواب وانالته فى القيام بالحقوق . أو اعتياد التواضع . أواستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها *

(فأما العلم والتعليم) فهما أعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة والمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة ومن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعى وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهوفى الاكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد

يستوعبها ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور ويكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العبّاد فالعلم هو أصل الدين ولا خير فى عزلة العوام والجهال(وأما التعليم) ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم *

(وأما الانتفاع بالناس) فبالكسب والمعاملة إذ لا يتأتى إلا بالمخالطةومن اكتسب من وجهه وتصدق منه كان أفضل من المعتزل المشتغل بالنافلة *

(وأما النفع) فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففى النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو أفضل لهمن العزلة *

(وأما التأديب بنصح الغير والتأدب) ونعنى به الارتياض بمقاساةالناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسراً للنفس وقهراً للشهوات فهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة *

(وأما الاستئناس والايناس) فهو مستحب لأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين وقد يتعلق بحظ النفس و يستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعى النشاط فى العبادة فان القلوب اذا كربت عميت والنفس لاتألف الحق على الدوام مالم تروّح وفى تكليفها الملازمة داعية للفترة وقد قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس فلا يستغنى المعتزل اذن عن رفيق يستأنس بمشاهدتهومحادثته فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لايفسد عليه فى ساعته تلك سائر

ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم (المَرءُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحَدُكم مَن يُخالِلُ) وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين والقصور عن الثبات على الحق ففى ذلك متروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه *

(وأما نيل الثواب) فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضاً لارخصة فى تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم مايفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لايتفق إلا نادراً . وكذلك فى حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث أنه ادخال سرور على قلب مسلم *

(وأما إنالة الثواب) فهو أن يأذن بعيادته وتعزيته في المصائب وتهنئته على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا . فينبغى أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التى ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة *

(وأما التواضع) فانه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة أو مخافة أن لايوقر فى المحافل أو لا يُقدّم أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى على اعتقاد الناس فى تعبده وزهده وعلامة هؤلاء انهم يحبون أن يزاروا ولايحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والامراء اليهم ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زياراتهم له ولكن اعتزاله سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقارِ والاحترام . والعزلةُ بهذا السبب جهل من وجوه (أحدها) ان التواضع والمخالطة

لاتنقص عن منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه (الثانى) ان الذى شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيأ وأن ضرره ونفعه بيد الله بل رضاء الناس غاية لاتنال فرضاء الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى . والله ما أقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله فاذن من حبس نفسه فى البيت لتحسن اعتقادات الناس فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . وبالجملة فلا تستحب العزلة الا لمستغرق الأوقات فى علم بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته أو كثرت آفاته *

(وأما التجارب) فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم والعقل الغريزى ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير فى عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقى غُمرًا جاهلا بل ينبغى أن يشتغل بالتعلم ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال وبالجهل يحبط العمل الكثير وبالعلم يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضّل العلم على العمل وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم (فَضْلُ العالِمِ على العابِدِ كفَضْلى على أدنَى رَجلٍ من أصحابى)

اذا عرفت ما تقدّم من الفوائد والآفات يتبين لك الأفضل من المخالطة والعزلة وأن ذلك يختلف باختلاف الاحوال *

كتاب اداب السفر

اعلم أن كل من سافر وكان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له فى سفره شروط وآداب ان أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بأعمال الآخرة . واليك جملة من أقسام الأسفار *

(القسم الأول) السفر فى طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا . وذلك العلم إما علم بأمور دينية أو بأخلاقه فى نفسه أو بآيات الله فى أرضه . وقد قال عليه السلام (مَن خرَج مِن بيته فى طلبِ العلْمِ فهُو فى سبيلِ اللهِ حتَّى يَرْجِعَ) ورحل جابر بن عبد الله من المدينة مسيرة شهر في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه عن عبد الله بن أنيس حتى سمعه عنه وقال الشعبى لو سافر رجل من الشأم الى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك مهم فان من لا يطلع على خبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها والنفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات فاذا امتحنت بمشاق الغربة وقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعيوبها وأما آيات الله فى أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبرارى والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شىء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية

(القسم الثانى) أن يسافر لأجل العبادة من حج أو جهاد وفي الحديث (لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجدَ مسجِدِى هذا والمسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصَى)

(القسم الثالث) أن يكون السفر للهرب من سبب مشوّش للدين وذلك أيضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين . وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن . وروى أن بعضهم قيل له الى أين قال بلغنى عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها فقيل له وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فانة أسلم لدينك وأقل لهمك . وهذا هرب من غلاء السعر *

(القسم الرابع) السفر هربا مما يقدح فى البدن كالطاعون أو فى المال كغلاء السعر أو مايجرى مجراه ولا حرج فى ذلك بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع وربما يستحب فى بعض بحسب وجوب مايترتب عليه من الفوائد أو استحبابه ولكن يستثنى الطاعون فلا ينبغي أن يفر منه لورود النهى فيه (وبالجملة) فالسفر ينقسم الى مذموم ومحمود ومباح والمذموم منه حرام كالسفر للعاقّ لوالديه ومنه مكروه كالخروج من بلد الطاعون * والمحمود منه واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم ومنه مندوب كزيارة العلماء للتخلق بأخلاقهم وآدابهم وتحريك الرغبة للاقتداء بهم واقتباس الفوائد العلمية من أنفاسهم- وأما المباح فمرجعه الى النية فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السوآل ورعاية ستر المروءة

على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صارهذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم (الأعمالُ بالنّيات)

﴿ آداب المسافر من أول نهوضه الى آخر رجوعه ﴾

(الأدب الأول) أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته و بردّ الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده الا الحلال الطيب وليأخذ قدراً يوسع به على رفقائه ولا بد فى السفرمن طيب الكلام وإطعام الطعام ومن اظهار مكارم الأخلاق والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقهفى الضجر فهو الحسن الخلق وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكارى ومعاونة الرفقة بكل ممكن واعانة المنقطع بمركوبأو زاد وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة فى بعض الأوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه (الثانى) أن يختار رفيقا فلايخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسى ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الاّ برفيقه . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده وقال (اذا كُنتُمُ ثَلاثَةً فى السَّفَرِ فأمِّرُوا أحَدَكم) وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم الى الإيثار وطلب الموافقة . وانما يحتاج الى الأمير لأن الآراء تختلف فى مصالح السفر ولانظام إلافى الوحدة ولا فساد إلا من الكثرة . وانما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكلّ واحد (ولو كان

فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا) (الثالث) أن يودّع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بقوله لمودعه : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وليدع المقيم له بقوله : زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت . وليصلّ المسافر قبل سفره ركعتين صلاة الاستخارة واذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أَضلّ أو أُضَلّ أو أَزِل أو أُزَلّ أو أَظلِم أو أُظلَم أو أَجهل أو يُجهل عليّ فاذا ركب فليقل (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)* (الرابع) أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها فى وجهها فانه منهى عنه . ويستحبّ أن ينزل عن الدابة أحيانا يروّحها بذلك ويدخل السرور على المكارى ويروّض بدنه حذرا من خدر الأعضاء بطول الركوب . وليحذر أن يحمل فوق المشروط شيئاً وإن خفّ فان القليل يجرُّ الى الكثير . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة احمل لى هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استأذن المكارى فانى لم أشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع (الخامس) أن يحتاط ان كان في قافلة فلا يمشى منفردا لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظاً عند النوم وينبغى أن يتناوب الرفقاء فى الحراسة بالليل وأن يستصحب مرآة ومقراضاً ومسواكا ومشطا وليحذر التنطع فى الطهارة فقد كان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران

ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضى الله عنه من ماء فى جرة نصرانية (السادس) فى آداب الرجوع من السفر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات و يقول (لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاشريك له لهُ الملك وله الحمدُ وهوعلى كلّ شيءٍ قديرٌ آيبُون تائبُون عابدُون ساجدُون لرَبّنا حامدُون صدَق اللهُ وعدَهُ ونصرَ عبدَهُ وهزَم الأحزابَ وحدهُ) ثم يرسل الى المدينة من يبشر بقدومه . وكان صلى الله عليه وسلم ينهى أن يطرق المرء أهله ليلا فيقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره . وكان صلى الله عليه وسلم اذاقدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت . وينبغى أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فان الأعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب فى تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب فى السفر الى ذكرهم بما يستصحب فى الطريق لهم . هذه جملة من الآداب الظاهرة (وأما الآداب الباطنة) ففى الفصل الأول بيان جملة منها وجملته أنلا يسافر الا اذا كان زيادة فى علمه فى السفر وينوى فى دخول كل بلدة أن يرى شيوخها الحكماء ويجتهد أن يستفيدمن كل واحد أدبا أو كلمة لينتفع بها وينفع بها واذا قصد زيارة أخ له فلا يقم عنده أكثر من ثلاثة أيام فذلك حد الضيافة الا اذا شق على أخيه مفارقته ولا يشغل نفسه بما لافائدة فيه فان ذلك يقطع بركة سفره *

﴿ مالابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر ﴾

اعلم أن المسافر يحتاج فى أول سفره الى أن يتزود لدنياه وآخرته * أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من نفقة فان خرج من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره فى قافلة أو بين قرى متصلة وان ركب البادية وحده أو مع قوم لاطعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا أو عشرا مثلا أو يكتفى بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه ألقى نفسه بيده الى التهلكة وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية والا لوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه *

وأما زاد الآخرة فهو العلم الذى يحتاج اليه فى طهارته وصومه وصلاته وعبادته وذلك أن السفر يفيد فى الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم. وفى صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع . وفى النفل رخصتين أداءه على الراحلة واداءه ماشيا . وفى الصوم رخصة واحدة وهى الفطر . فأما المسح على الخفين[1] فقال صفوان بن عسال (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين أن لاننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن) فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافراً أو يوما وليلة إن كان مقيما *

---

(١) مثله فى ذلك الجوربان منعلين كانا أو لاصفيقين أولا اهـ

(وأما التيمم) فالتراب بدل عن الماء عند العذر كبعده عن منزله بحيث لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح أو استغاث . أو نزل على الماء عدو أو سبع . أو احتاج اليه لعطشه أو عطش أحد رفقائه . فيتيمم فى هذه الصور وان بيع الماء بثمن المثل لزمه الشراء أو بغبن لم يلزمه *

(وأما القصر) فله أن يقتصر فى كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولا يصير مسافراً إلاّ بمفارقة عمران البلد *

(وأما الجمع) بين الظهر والعصر فى وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما فذلك أيضاً فى كل سفر طويل مباح وفى جوازه فى السفر القصير قول . ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما قبل الفراغ من الظهر . وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر وان أخر الظهر الى العصر فيجرى على هذا الترتيب *

(وأما النافلة) فقد جوز أداؤها على الراحلة كى لا يتعوق عن الرفقة بسببها وكان صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر عليه السلام على الراحلة وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود إلا الايماء ويجعل سجوده أخفض من ركوعه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لافى ابتداء الصلاة ولا فى دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة . فليكن فى جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها . وجوز للمسافر أيضا التنفل له ماشياً فيومئ بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد وحكمه حكم الراكب

لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة . وكل هارب من عدوّ أوسيل أو سبع فله أن يصلى الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه فى التنفل *

(وأما الفطر فى رمضان للمسافر) فهو مرخص له والصوم أفضل له إلا ان كان يضره فالافطار أفضل *

كتاب الامر بالمعروف

﴿ والنهى عن المنكر ﴾

إعلم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين . والمهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين . لو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله . لفشت الضلالة وشاعت الجهالة . وخربت البلاد . وهلك العباد فنعوذ بالله أن يندرس من هـذا القطب عمله وعلمه . وأن يمحى بالكلية حقيقته ورسمه . وأن تستولى على القلوب مداهنة الخلق وتمحى عنها مراقبة الخالق . وأن يسترسل الناس فى اتّباع الهوى والشهوات اسرسال البهائم . وأن يعزّ على بساط الأرض مؤمن صادق لاتأخذه فى الله لومة لائم فلا مَعاذ إلاّ به ولا ملجأ إلاّ اليه *

ينحصر هذا الكتاب فى مقاصد *

﴿ وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴾

(وفضيلته والمذمة فى إهماله)

دل على ذلك من الآيات قوله تعالى (ولْتَكُن منكم أُمَّةٌ يَدْعُون

إلى الخيرِ ويَأمُرُون بالمعرُوفِ ويَنهَوْن عن المُنكرِ وأولئكَ هُمُ المُفْلِحون) ففى الآية بيان الايجاب فان قوله تعالى (ولتكن) أمر وظاهر الأمر الايجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به اذ حصر بقوله (وأولئك هم المفلحون) وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين . وقال تعالى (والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ يَأمُرُون بالمعرُوفِ ويَنهوْنَ عن المُنكرِ ويُقيمونَ الصَّلاةَ) فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذى هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية . وقال تعالى (لُعِنَ الذينَ كفرُوا مِن بَنى إسرائيلَ علَى لِسَانِ داوُدَ وعيسَى بنِ مَرْيَمَ ذلك بما عَصَوْا وكانوا يَعتَدُونَ كانوا لا يَتَناهَوْنَ عن مُنكرٍ فعَلوهُ لَبِئْسَ ماكانوا يَفعلون) وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر . وقال عز وجل (كُنتمْ خيرَ أمَّةٍ أخرِجَتْ للناسِ تَأمرُون بالمعرُوفِ وتَنهَوْن عن المُنكرِ) وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بيّن أنهم كانوا خير أمة . وقال تعالى (فلمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا به أنجَينا الذين يَنهَوْن عن السُّوءِ وأخذْنا الذين ظَلَموا بعذابٍ بَئِيسٍ بما كانوا يَفْسُقون) فبيّن أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء . وقال تعالى (وتَعاوَنوا على البِرِّ والتقوَى ولا تَعاوَنوا على الإثمِ والعُدْوانِ) وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسدّ سبل الشر والعدوان بحسب الامكان . وقال تعالى (لولا يَنهاهمُ الرَّبَّانيُّونَ والأَحبارُ عن قولهمُ الإثمَ وأكلِهِمُ السُّحْتَ لبئسَ ما كانوا يَصنَعون) فبيّن أنهم أثموا

بترك النهى . وقال تعالى (فلولا كان مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبلِكم أولوا بَقِيّةٍ ينهَوْن عنِ الفَسادِ فى الأرضِ) الآية فبيّن انه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد . وقال تعالى (يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قَوّامينَ بالقِسْطِ شُهَداءَ لِلّهِ ولو على أنفُسكم أوِ الوالِدَينِ والأقرَبينَ) وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين . وقال تعالى (لا خيرَ فى كثيرٍ مِنْ نَجواهمْ إلاّ مَن أمرَ بصدَقةٍ أو مَعرُوفٍ أو إصلاحٍ بينَ الناسِ ومَنْ يَفعَلْ ذلكَ ابتغاءَ مَرْضاتِ اللهِ فسوفَ نُؤْتيهِ أجرًا عظيما)

ومن الأخبار ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما مِنْ قومٍ عَمِلوا بالمَعاصى وفيهم مَن يَقدِرُ أن يُنكِرَ عليهم فلم يَفعَلْ إلاّ يُوشِكُ أن يَعُمَّهُمُ اللهُ بعذابٍ مِن عِنده) وقد روى في ذلك من الأحاديث ما لا يحصى . وبهذه الأدلة يظهر كون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبا وان فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به *

﴿ الشروط التي بها يتحقق التصدى للانكار ﴾

(الأول كونه منكرا) وهو ما كان محذور الوقوع في الشرع ولفظ المنكر أعم من لفظ المعصية فان من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق الخمر وكذا إن رأى مجنونا يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك معصية فى حق المجنون . ولا يختص المنكر بالكبائر بل كشف العورة فى

الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهى عنها*

(الثانى) أن يكون المنكر ظاهراً بغير تجسس . فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لايجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية ولا أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه فى قوله (ولا تَجسَّسُوا) وكذا لو رؤى فاسق وتحت ذيله شئ لم يجز أن يكشف عنه *

(الثالث) أن يكون كونه منكراً معلوما بغير اجتهاد . فكل ماهو فى محل الاجتهاد فلا نكران فيه فليس للحنفى أن ينكر على الشافعىّ ماهو من مجارى الاجتهاد يعنى المسائل المختلف فيها بين الأئمة إذ لا يعلم خطأ المخالف قطعاً بل ظناً . فلا بد أن يكون المنكر متفقا عليه وكذا انما ينكر على الفرق المبتدعة فى خطئهم المعلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد *

﴿ درجات القيام بالانكار ﴾

(الأولى التعريف) أى تعريف المزجور أن مايفعله منكر فانه قد يقدم عليه بجهله فلعله إذا عرف أنه منكر تركه فيجب تعريفه باللطف من غير عنف فان فى التعريف كشفاً للعورة وايذاءً للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فتقول له إن الانسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين فعلمنا العلماء فالصواب هو كذا وكذا فيتلطف به هكذا ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محظور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن آذى بالانكار فهذا مثاله *

(الدرجة الثانية) النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو مايجرى مجراه فينبغى أن يوعظ ويخوّف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فى ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه *

(الدرجة الثالثة) التعنيف بالقول الغليظ وذلك عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام (أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدُونَ مِن دونِ اللهِ أفَلاَ تَعقِلونَ) ولا يفحش فى سبه . ولهذه الرتبة أدبان (أحدهما) أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف (والثانى) أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطيل لسانه بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة *

(الدرجة الرابعة) التغيير باليد وذلك كاراقة الخمر واتلاف المنكر المتمول أو دفعه عن محرم وليس الى آحاد الرعية إلا الدفع وأما الاراقة والأتلاف فالى الولاة ومأذونيهم كالضرب والحبس *

﴿ آداب القائم بالأمر والنهى ﴾

جملتها ثلاث صفات العلم ، والورع ، وحسن الخلق (أما العلم) فليعلم مواقع الأمر والنهى ليقتصر على حدّ الشرع فيه (وأما الورع) فليردعه عن

مخالفة معمولة ولا يحمله على مجاوزة الحدّ المأذون شرعاً غرض من الأغراض وليكون كلامه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا أمر أو نهى ويورث ذلك جراءة عليه (وأما حسن) الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه مالم يكن فى الطبع قبول له بحسن الخلق وبوجود هـذه الصفات الثلاث يصير الارشاد من القربات وبه تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر . وقد حكى أن المأمون وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى وأمره بالرفق فقال تعالى (فَقُولاَ لهُ قَوْلاً لَيِّنا لَعلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشَى) فليكن اقتداء المرشد فى الرّفق بالأنبياء صلوات الله عليهم *

﴿ المنكرات المألوفة في العادات ﴾

(منكرات المساجد)

إعلم أن المنكرات تنقسم الى مكروهة ومحظورة فاذا قلنا هـذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام واذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً فمما يشاهد كثيراً فى المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنصّ الحديث فيجب النهى عنه . ومن رأى مسيئاً فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه ومنها قراءة القرآن ملحونة فيجب النهى عن ذلك وتلقين الصحيح والذى يكثر اللحن

فى القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمنع عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به ومنها تراسل المؤذنين فى الأذان وتطويلهم بمدّ كلماته فذلك منكر مكروه ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم الكذب والأضاليل والخرافات فيجب الانكار عليهم ومنها التحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وانشادهم الأشعار وما يجرى مجراه فكل ذلك منكر يمنعون منه ومنها بيع الأطعمة والأدوية والكتب وكذا الخياطة فيطلب المنع منه لأن المساجد لم تبن لهذا ومنها دخول المجانين ـ المعروفين الآن بالمجاذيب ـ والصبيان والسكارى فانهم يجنبون المساجد (وقد أوسعنا الكلام على منكرات المساجد وبدعها وعوائدها في كتاب أفردناه لذلك فليرجع اليه من أراده) *

﴿ منكرات الأسواق ﴾

من المنكرات المعتادة فى الأسواق الكذب فى المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق . وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه . فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته . وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه والا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام . وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه الى الوالى حتى يغيره ومنها بيع الملاهى وتلبيس انخراق الثياب بالرفو وكل ما يؤدى الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه

يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعنى ما يقل منه فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح ـ ومنها الاسراف فى الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران أحدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتدّ بها كاحراق الثوب وتمزيقه وفى معناه صرف المال الى النائحة والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال قال تعالى (ولا تَبسُطْها كلَّ البَسْطِ فتَقْعُدَ مَلُوماً مَحسُورًا) وقال تعالى (ولا تبَذِّرْ تَبذِيرًا إنّ المُبَذِّرِين كانوا إخْوَانَ الشيَاطينِ وكان الشيطانُ لرَبّهِ كَفُورًا) وقال تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يُسرِفوا ولم يَقتُرُوا وكان بَينَ ذلك قَوَاماً) فمن لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه منه وكذا لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضاً إسراف محرم وأما فعل ذلك ممن له مال كثير فليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ـ وكذلك القول فى التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح فى جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته *

﴿ المنكرات العامة ﴾

اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى فواجب أن

يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلّم الناس دينهم وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج الى من يجاور بلده من أهل السواد والعرب ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم فان قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الباقين وبالجملة فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى أهل محلته ثم الى أهل بلده ثم الى أهل السواد المتنكف ببلده ثم الى أهل البوادى وهكذا الى أقصى العالم فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا *

كتاب الاداب النبويه

﴿ والأخلاق المحمدية ﴾

﴿ بيان تأديب الله تعالى صفيه محمدا صلوات الله عليه بالقرآن ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول فى دعائه (اللهمَّ حَسِّنْ خَلْقى وخُلُقى) ويقول (اللهمَّ جَنِّبْنى منكَرَاتِ الأخلاق) فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله عز وجل (أُدعُونى أستجِبْ لكم) فأنزل عليه القرآن وأدّبه فكان خلقه القرآن وانما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى (خُذِ

العفوَ وأمرْ بالمعرُوفِ واعرِضْ عنِ الجاهِلين) وقوله (إنّ اللهَ يَأمرُ بالعَدْل والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ والبَغْيِ) وقوله (إصبِرْ على ما أصابَكَ إنّ ذلك مِنْ عَزْمِ الأمور) وقوله (فاعفُ عنهم واصفَحْ إنّ اللهَ يُحِبُّ المحسِنين) وقوله (إدفَعْ بالتي هي أحسَنُ فاذا الذي بينَكَ وبينَهُ عَداوَةٌ كأنّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ) وقوله (والكاظِمينَ الغَيظَ والعافِين عنِ الناسِ) وقوله (إجتَنِبوا كثيرًا مِنَ الظنِّ إنّ بَعضَ الظنِّ إثمٌ ولا تجسَّسوا ولا يَغتَبْ بَعضُكم بَعضاً) وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه الصلاة والسلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ـ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق) ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق . ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى (وإنكَ لَعَلى خُلُقٍ عظيمٍ) ثم بين صلوات الله عليه للخلق ان الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها . قال علىّ رضى الله عنه ياعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له أن يسارع الى مكارم الأخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة وفي الحديث (إن الله حفَّ الاسلامَ بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال) ومن ذلك حسن المعاشرة . وكرم الصنيعة ولين الجانب . وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام . وعيادة المريض المسلم . وتشييع الجنازة . وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان أو كافراً . وتوقير ذي الشيبة المسلم .

وإجابة الطعام . والدعاء عليه . والعفو . والاصلاح بين الناس . والجود . والكرم . والسماحة . وكظم الغيظ . واجتناب المحارم . والغيبة . والكذب . والبخل . والشح . والجفاء . والمكر . والخديعة . والنميمة . وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام . وسوء الخلق . والتكبر . والفخر . والاختيال . والاستطالة والبذخ . والفحش . والتفحش . والحقد . والحسد . والطيرة . والبغي . والعدوان . والظلم . قال أنس رضى الله عنه : فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا اليها وأمرنا بها . ولم يدع غشا أو عيبا إلا حذرناه ونهانا عنه . ويكفى من ذلك كله هذه الآية (إنّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذى القُرْبَى وينهى عن الفَحشاءِ والمنكَرِ والبغيِ يَعِظُكم لعلَّكم تَذَكَّرُون) وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ (أوصيك بتقوى الله . وصدق الحديث . والوفاء بالعهد . وأداء الأمانة . وترك الخيانة . وحفظ الجار . ورحمة اليتيم . ولين الكلام . وبذل السلام . وحسن العمل . وقصر الأمل ولزوم الايمان . والتفقه فى القرآن . وحب الآخرة . والجزع من الحساب . وخفض الجناح . وأنهاك أن تسبَّ حكيما . أو تكذب صادقا . أو تطيع آثما أو تعصى إماما عادلا . أو تفسد أرضا . وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر . وأن تحدث لكل ذنب توبة السرّ بالسرّ . والعلانية بالعلانية) فهكذا أدب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب .

﴿ بيان جمل من محاسن أخلاقه صلوات الله عليه ﴾

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس . وأشجع الناس . وأعدل الناس .

وأعفّ الناس . لم تمسّ يده قط يد امرأة لا يملك رقّها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شئ ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه . لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامّه فقط ويضع سائر ذلك فى سبيل الله . لا يسئل شيأ الا أعطاه . ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام فاستقرض وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد . ويجيب دعوة الحر والعبد . ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافئ عليها ويأكلها . ولا يأكل الصدقة . ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه . وقد وَجد من أصحابه قتيلاً بين اليهود فلم يَجْفُ عليهم ولا زاد على مُرّ الحق بل وداه بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به . وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع يأكل ما حضر . ولا يردّ ما وجد . إن وجد تمرا دون خبز أكله . وإن وجد شواء أكله . وإن وجد خبز برّ أو شعير أكله . وإن وجد حلواء أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به . وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله. لا يأكل متكئا ولا على خوان . لم يشبع من خبز برّ ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا . وكان صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس تواضعا وأسكتهم فى غير كبر . وأبلغهم فى غير تطويل . وأحسنهم بشرا . لا يهوله شئ من أمور الدنيا . خاتمه من فضة يلبسه فى خنصره الأيمن والأيسر .

يركب الحمار ويردف خلفه عبده أو غيره . يعود المرضى فى أقصى المدينة . يحب الطيب . ويجالس الفقراء . ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبرّ لهم . يصل رحمه . ولا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . يمزح ولا يقول إلا حقا . ضحكه التبسم من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره . يسابق أهله . وترفع الاصوات عليه من الجفاة فيصبر . لم يرتفع على عبيده فى مأكل ولا ملبس . لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابدّ له منه من صلاح نفسه . يخرج الى بساتين أصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره . ولا يهاب ملكا لملكه . يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا . قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة . وهو أمىّ لا يقرأ ولا يكتب . نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم . يتيما لا أب له ولا أم . فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا . وفقنا الله لطاعته فى أمره . والتأسى به فى فعله . آمين يارب العالمين

﴿ بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه ﴾

مما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه ماضرب بيده أحداً قط إلاّ أن يضرب بها فى سبيل الله تعالى . وما انتقم من شئ صنع اليه قط إلاّ أن تنتهك حرمة الله . وما خيّر بين أمرين قطّ إلاّ اختار أيسرهما إلاّ أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك . وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلاّ قام معه فى حاجته . وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه

الشعير والقثاء بالرّطب وكان أكثر طعامه الماء والتمر وأحب الطعام اليه اللحم . وكان يأكل الثريد باللحم . ويحب القرع وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ولا يحب منها الكليتين ولا الذكر والانثيين ولا المثانة والغدد والحياء ويكره ذلك وكان لا يأكل الثوم ولا البصل وما ذمّ طعاما قط ان أعجبه أكله وان كرهه تركه وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان اذا فرغ قال (الحمدُ لِلّهِ اللّهُمّ لكَ الحمدُ أطْعَمتَ فَأشْبَعتَ وَسَقَيتَ فأرْوَيتَ لكَ الحمدُ غَيْرَ مَكفُورٍ وَلا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغْنى عنهُ) وكان اذا أكل اللحم غسل يديه غسلا جيدا وكان يشرب فى ثلاث دفعات . ويمصّ الماء مصا ولا يعبه عَبًّا . ولا يتنفس فى الاناء بل ينحرف عنه وكان ربما قام في بيته فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب *

﴿ أخلاقه صلوات الله عليه فى اللباس ﴾

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ماوجد . وأكثر لباسه البياض وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حلّ الأزرار وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة وكان ربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره فأمّ به الناس وكان له كساء أسود يلبسه ثم وهبه وكان يتختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به الكتب وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى اليها وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول (الحمدُ لِلّهِ الّذِى كَسانى

ما اوَارِى بِهِ عَوْرَتى وَأتجَمّلُ بِهِ فى النَّاسِ) واذا نزَعَ ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خَلَقَ ثيابه مسكينا ثم يقول (مامن مسلم يكسو مسلما لله إلاّ كان في ضمان الله وحرزه حيا وميتا) وكان له فراش من ادم حشوه ليف وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين تحته وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه *

(عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأرغبهم فى العفو مع القدرة . فقد كان فى حرب فرأى رجل من المشركين فى المسلمين غرّة فجاء حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك منى فقال (أللّه) قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله السيف وقال (من يمنعك منى) فقال كن خير آخذ قال (قُلْ أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وإنى رَسولُ اللهِ) فقال لا غير إنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس . وكم استؤذن صلى الله عليه وسلم فى قتل من أساء اليه وقيل دعنا يا رسول الله نضرب عنقه وهو يأبى وينهى ثم يقبل معذرة المعتذر اليه . وربما قال (رَحِمَ اللهُ أخي موسى قدْ أُوذِى بأكثَرَ مِن هذا فصبرَ) وكان صلى الله عليه وسلم يقول (لا يُبَلِّغنى أحد منكم عن أحدٍ مِن أصحابى شيئاً فإنى أُحِبُّ أنْ أخرُجَ إليكم وأنا سَليمُ الصَّدْرِ)

(اغضاؤه صلوات الله عليه عما كان يكرهه)

كان صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى

وجهه غضبه ورضاه وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه . بال أعرابى فى المسجد بحضرته فهمّ به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له (إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا)

(سخاؤه وجوده صلوات الله عليه)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئاً وكان علىّ رضى الله عنه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان أجود الناس كفا . وأوسع الناس صدرا . وأصدق الناس لهجة . وأوفاهم ذمة . وألينهم عريكة . وأكرمهم عِشرة . من رآه بديهة هابه . ومن خالطه معرفة أحبه . يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله . وما سئل عن شىء قط إلا أعطاه . وان رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدّت ما بين جبلين فرجع الى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة . وما سئل شيئاً قط فقال لا . وحمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم مال اليها فقسمها فما ردّ سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال (ما عِندى شىءٌ ولكنِ ٱبتَعْ علىَّ فاذا جاءنا شىءٌ قَضيناهُ) فقال عمر يارسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبىّ صلى الله عليه وسلم ذلك . فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (أعطُونى رِدائى لو كانَ لى عَدَدُ هذهِ العِضَاه نَعَمًا لَقَسّمتُها بَينكم ثُمّ

لاَتَجِدُونِى بَخِيلاً وَلاَ كَذَّاباً وَلاَ جَبَاناً) *

﴿ شجاعته صلى الله عليه وسلم ﴾

كان صلوات الله عليه أكرم الناس وأشجعهم قال علىّ رضى الله عنه لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدوّ وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً وقال أيضاً : كنا إذا احمرّ البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدوّ منه . ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول (أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب) فمارئى يومئذ أحد كان أشد منه *

﴿ تواضعه صلوات الله عليه ﴾

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا فى علوّ منصبه وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يسترذف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع أهله فى حاجتهم وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة أخذ معهم وان تحدّثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم رفقا بهم وتواضعاً لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون

فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم إلاّ عن حرام *

﴿ خلقته الكريمة صلوات الله عليه ﴾

وكان صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وكان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض وكان شعره ليس بالسبط ولا الجعد وشعر رأسه يضرب الى شحمة أذنيه لم يبلغ شيبه عشرين شعرة بيضاء في رأسه ولا فى لحيته وكان واسع الجبهة أزجّ الحاجبين سابغهما أهدب الأشفار مفلج الأسنان كث اللحية وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه وكان عظيم المنكبين بين كتفيه خاتم النبوّة وكان يمشى الهوينا كأنما يتقلع من صخر *

﴿ شذرة من معجزاته صلوات الله عليه ﴾

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى الى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع مايروى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق ومحاسن اشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز العقلاء عن ادراك أوائل دقائقها فى طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك فى أن ذلك استمداد من تأييد سماوىّ وقوّة إلهية . وان ذلك كله لايتصور لِمُفتَرٍ ولا مُلَبِّسٍ . بل كانت شمائله وأحواله شواهدَ قاطعة بصدقه . حتى

أن العربيّ القح كان يراه فيقول والله ماهذا وجه كذاب . فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله . فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وانما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق . وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلوّ منصبه ومكانته العظيمة عند الله . اذ آتاه الله جميع ذلك وهو أميّ لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم . بل نشأ بين أظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواصّ النبوّة لولا صريح الوحى . ومن أين لقوّة البشر الاستقلال بذلك . فلو لم يكن له الا هذه الأمور الظاهرة لكفى . وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل . فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار من غير تطويل . فنقول : استفاض أنه صلى الله عليه وسلم أطعم النفر الكثير من الطعام القليل فى منزل جابر ومنزل أبى طلحة ويوم الخندق ومرّة أطعم أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين أصابعه صلوات الله عليه فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه وأراق وَضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرّة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة

ولم يكن فيها قبل ذلك ماء ورمى صلوات الله عليه جيش العدوّ بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن فى قوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَى) وحنّ الجزع الذى كان يخطب عليه اليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمّه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين تمنيه كما أخبر وأخبر عليه السلام بالغيوب . فأنذر عثمان بأن بلوى تصيبه بعدها الجنة . وبأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية . وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لاتعرف البتة بشئ من وجوه تقدّمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بأعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتَّبَعَهُ سراقة ابن جعشم فساخت قدما فرسه فى الأرض حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس . وأنذره بأن سيوضع فى ذراعيه سوار كسرى فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله وأخبر عليه السلام أنه يقتل أبىّ بن خلف الجمحى فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفا فكانت منيّته فيه وأُطْعِمَ عليه الصلاة والسلام السمّ فمات الذى أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين . وكلمه الذراع المسموم وأخبر عليه السلام بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع وأنذر عليه السلام بأن

طوائف من أمتـه يغزون فى البحر فـكان كذلك وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها فـكان كذلك فقد بلغ ملـكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الأندلس و بلاد البربر وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحوقا به فـكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحوقا به فـكانت زينب أطولهن يداً بالصدقة وأوّلهن لحوقا به رضى الله عنها ومسح ضرع شاة لا لبن لها فدرّت وكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرّة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فردّها عليه السلام بيده فـكانت أصح عينيه وأحسنهما وتفل فى عين علىّ رضى الله عنـه وهو أرمد يوم خيبر فصحّ من وقتـه . و بعثـه بالراية . الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم . ومن يستريب فى انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هـذه الوقائع لم ينقل تواتراً بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب فى شـجاعة علىّ رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائى . ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولـكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى فى تواتر القرآن وهو المعجزة الـكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبىّ معجزة باقية سواه صلى الله عليـه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهـم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور

مثله أو بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَاتونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) قال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساؤهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه . ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصراً بعد عصر الى زماننا هذا فلم يقدر أحد على معارضته. فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في اذعان ملوك الأرض له في عصره و بعد عصره مع ضعفه و يتمه ثم يتمادى بعد ذلك في صدقه . فما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل وِرْدٍ وصَدَرٍ . فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال . بمنه وسعته وجوده آمين

تمَّ الجزء الأوَّل من موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين

قبيل عشاء ليلة السبت غرّة ذي الحجة الحرام ختام

عام (١٣٢٣ هـ) بمنزلنا بدمشق الشام على يد

مؤلفه ومختصره الحقير جمال الدّين

القاسمي عفا الله عنه وعن والديه

واخوانه وأولاده والمسلمين

والحمد لله رب العالمين

﴿ انتهى طبع الجزء الأوَّل ويليه الجزء الثاني ﴾

(فهرست الجزء الأول من كتاب)

موعظة المؤمنين

من

إحياء علوم الدين

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب		على ذكراه
٠	أهمية موعظة العامة واناطتها الخ	٤	عدم وجود ماألف لموعظة العامة واهتداء المؤلف للمواضيع القريبة لهذا الموضوع ـ ومنها الاخبار على شرط اختصاره ولذلك انتدب لتلخيصه
	وجوب موعظة العامة		
٣	من يصلح للعظة والذكرى		
٠	من هو المذكر والواعظ والمرشد		
٤	اضطرار المذكر الى مادة تعينه		

﴿ كتاب العلم ﴾

٥	فضيلة العلم	٨	فضيلة التعليم
٧	فضيلة التعلم	٩	بيان العلم الذى هو فرض عين

١٠ ﴿ كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة فى كلمتى الشهادة ﴾

صحيفة

١٤ ﴿ كتاب أسرار الطهارة ﴾

١٦ القسم الأوّل فى طهارة الخبث
١٨ الطرف الثانى في المزال به
٠٠ الطرف الثالث فى كيفية الازالة
١٩ القسم الثانى طهارة الأحداث
٠٠ آداب قضاء الحاجة
٢٠ كيفية الاستنجاء ـ وكيفية الوضوء
٢١ ما يكره فى الوضوء
٠٠ الاعتبار بالطهارة
٢٢ كيفية الغسل ـ وكيفية التيمم
٢٣ القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الطاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء ـ بيان الأوّل
٢٤ آداب الحمّام
٢٥ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء
٢٧ باب أسرار الصلاة ومهماتها
٠٠ فضيلة الأذان

صحيفة

٢٨ فضيلة المكتوبة ـ فضيلة إتمام الأركان ـ فضيلة الجماعة
٢٩ فضيلة السجود. وجوب الخشوع
٣٠ فضيلة المسجد وموضع الصلاة
٣١ أعمال الصلاة الظاهرة ـ القراءة
٣٢ الركوع ولواحقه
٣٣ السجود ـ والتشهد
٣٤ المنهيّات
٣٥ تمييز الفرائض والسّنن
٣٦ بيان الشروط الباطنة من أعمال القلب و بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب
٣٧ بيان المعانى الباطنة التى بها تتميّز حياة القلب
٣٩ بيان الدواء النافع فى حضور القلب
٤١ بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب عند كلّ ركن وشرط

صحيفة		صحيفة	
٤٩	وظائف الامام		أو شكّ كم صلّى
٥٢	فضل الجمعة ـ وآدابها	..	مسئلة فى الوسوسة فى نيّة الصّلاة
٥٤	مسائل متفرّقة يحتاج الى معرفتها		وسببها خبل في العقل أو جهل بالشرع
..	مسئلة في الفعل القليل في الصلاة	٥٦	مسئلة في مسابقة الامام
..	مسئلة ندب أن يقف الواحد عن يمين الامام	..	مسئلة فى الانكار على المسيء فى صلاته
..	مسئلة فى حكم المسبوق	٥٧	بيان نوافل العبادات
٥٥	مسئلة فى ترتيب الفوائت	٥٩	الأوقات التى تكره فيها الصّلاة
..	مسئلة فيمن صلّى ثم رأى على ثوبه نجاسة	..	مايقضى من النوافل
..	مسئلة فيمن ترك التشهد الأوّل		
٦٠	*(كتاب أسرار الزكاة)*		
٦١	أداء الزكاة وشروطها	٦٩	وظائف القابض
..	سرّ كون الزكاة من مبانى الاسلام	٧١	صدقة التطوّع وفضلها وآداب أخذها واعطائها
٦٣	وظائف المزكّى	..	فضيلة الصدقة
٦٧	مصارف الزكاة ـ وأصناف قابضيها	٧٢	وجوب فضل إخفاء الصدقة
٧٣	*(كتاب أسرار الصوم)*		
٧٥	الواجبات والسنن الظاهرة		واللوازم بافساده

صحيفة
٧٥ الواجبات الظاهرة ستّة
٧٦ لوازم الافطار أربعة
٧٧ سنن الصيام

صحيفة
٧٧ أنواع الصوم ودرجاته
٠٠ أسرار الصوم وشروطه الباطنة
٧٩ التطوع بالصيام

٨٠ *(كتاب أسرار الحج)*

٠٠ فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المساجد
٨٢ شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٨٤ ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر الى الرجوع وهى عشر جمل ـ الجملة الأولى في السير من أول الخروج الى الاحرام وفيها مسائل
٨٦ الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة
٠٠ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف

٨٧ الجملة الرابعة فى الطواف
٨٩ الجملة الخامسة فى السعى
٨٩ الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله
٩٠ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج
٩٢ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع
٠٠ الجملة التاسعة فى طواف الوداع
٩٣ الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها
٩٤ سنن الرجوع من السفر
٩٥ الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة
٩٧ طريق الاعتبار بأعمال الحج الباطنة والتذكّر لأسرارها ومعانيها

٩٩ *(كتاب آداب تلاوة القرآن)*

صحيفة
٩٩ فضل القرآن وأهله وذم المقصّرين فى تلاوته
صحيفة
١٠٠ ظاهر آداب التلاوة
١٠٢ أعمال الباطن فى التلاوة

(كتاب الأذكار والدعوات)

١٠٧ فضيلة الذكر
١٠٨ فضيلة مجالس الذكر ـ فضيلة التهليل
١٠٩ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار ـ سرّ فضيلة الذكر
١١٠ فضيلة الدعاء ـ آداب الدعاء
١١٢ فضيلة الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم
١١٤ فضيلة الاستغفار
صحيفة
١١٥ آداب النوم
١١٦ بيان أن الاوراد للمجرد للعبادة
١١٧ فضيلة قيام الليل
... الأسباب المسهّلة لقيام الليل
١١٨ بيان لذة المناجاة عقلا ونقلا
١١٩ حاشية المؤلّف فى تأييد هذا البحث
١٢٠ طرق القسمة لأجزاء الليل

﴿ كتاب آداب الأكل والدعوة والضيافة ﴾

١٢١
١٢٢ بيان ما لابد للآكل من مراعاته وهو ثلاثة أقسام
... القسم الأوّل فى الآداب المتقدمة على الأكل وهى خمسة
١٢٣ القسم الثانى فى آدابه حالة الأكل
١٢٤ القسم الثالث مايستحب بعد الطعام
... آداب الاجتماع على الأكل
١٢٦ فضل تقديم الطعام الى الزائرين وآدابه
١٢٨ مسائل ـ الأولى رفع الطعام

صحيفة

على المائدة لا كراهة فيه
الثانية الأكل والشرب متكئاً
مكروه الثالثة السنة البداءة
بالطعام قبل الصلاة
١٢٩ بيان ما يخص الدعوة والضيافة
فضيلة الضيافة
... الدّعوة وما ينبغي للدّاعى ـ

صحيفة

١٢٩ إجابة الدعوة وآدابها
١٣١ آداب الحضور للدّعوة
وآداب إحضار الطعام
١٣٣ آداب الانصراف
١٣٤ آداب متفرقة
١٣٥ تتمة فيمن كان يمتنع عن إجابة
الدعوة ويتعلّل بما نوقش فيه

﴿ كتاب آداب النكاح ـ والترغيب فيه ﴾

١٣٧ فوائد النكاح ـ وما يراعى
من أحوال المرأة
١٤٠ آداب المعاشرة بعد العقد
الى الفراق والنظر فيما على
الزوج والزوجة ـ أما الزّوج
فعليه مراعاة اثنى عشر أدبا
ـ الوليمة ـ حسن الخلق ـ
إحتمال الأذى ـ التوسط فى
الدعابة

١٤٢ الاعتدال في الغيرة
... الاعتدال فى النفقة
١٤٣ تعلم أحكام الحيض ـ العدل
بين الزوجات
١٤٤ حكم النشوز ـ آداب الجماع
وفيه حكم العزل
١٤٥ آداب الولادة ـ أن لا يفرح
بالذكر الخ ـ حكم الطلاق
١٤٨ حقوق الزوج على الزّوجة

(كتاب آداب الكسب والمعاش)

١٤٩ فضل الكسب والحث عليه
١٥١ بيان العدل واجتناب الظلم

صحيفة

فى المعاملة ـ وهو ينقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل
١٥١ القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع
١٥٣ القسم الثانى ما يخص ضرره المعامل
١٥٨ الاحسان فى المعاملة
١٦٠ شفقة التاجر على دينه

(كتاب الحلال والحرام)

١٦١ فضيلة الحلال ومذمة الحرام
١٦٣ أصناف الحلال ومداخله
١٦٥ درجات الحلال والحرام
١٦٦ مراتب الشبهات
١٧٠ تنبيه لا ينبغى الاشتغال بدقائق الورع إلاّ بحضرة عالم
١٧٠ البحث والسؤال فى الحرام والحرام
١٧١ كيفية خروج التائب من المظالم المالية

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة)

١٧٢ فضيلة الألفة والأخوة
١٧٤ تحقيق المحبة فى الله
١٧٦ بيان البغض فى الله
... الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته
١٧٨ حقوق الأخوة والصحبة
... الحق الأوّل فى المال
١٨٠ الحق الثانى فى الاعانة بالنّفس
١٨١ الحق الثالث على اللسان
١٨٥ الحق الرابع على اللسان بالنطق
١٨٨ الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات
١٨٩ الحق السادس الدعاء للأخ
١٩٠ الحق السابع الوفاء والاخلاص
١٩١ الحق الثامن التخفيف وترك التكلّف والتكليف

صحيفة	
١٩٤	خاتمة فى جملة من آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق
١٩٥	بيان حقّ المسلم والرّحم والجوار
١٩٦	حقوق المسلم ـ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك ومنها أن لا يؤذى أحداً ـ ومنها أن يتواضع
١٩٧	ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض
	ومنها أن لا يزيد في الهجر على ثلاثة أيّام
	ومنها أن يحسن الى كل من قدر عليه
	ومنها أن لا يدخل على أحد إلا باذنه
	ومنها أن يخالق الجميع بخلق حسن
	ومنها أن يوقّر المشايخ ويرحم الصبيان

صحيفة	
١٩٨	ومنها أن يكون مع كافة الخلق مستبشراً ـ ومنها أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفى به
	ومنها أن ينصف الناس من نفسه
	ومنها أن يزيد فى توقير من تدل هيئته على توقيره
	ومنها أن يصلح ذات البين
١٩٩	ومنها أن يستر عورات المسلمين
٢٠٠	ومنها أن يتقى مواضع التهم
	ومنها أن يشفع لكل من له حاجة ـ ومنها أن يبدأ من يلقى بالسّلام قبل الكلام
٢٠١	ومنها أن يصون عرض أخيه ونفسه وماله الخ
٢٠٢	ومنها تشميت العاطس
	ومنها اذا بلى بذى شرّ فينبغى أن يجامله ويتّقيه
٢٠٣	ومنها أن يختلط بالمساكين ويحسن الى الأيتام
	ومنها النصيحة لكل مسلم

صحيفة		صحيفه	
	وادخال السرور على قلبه	٢٠٥	آداب المعزى وتشييع الجنازة
٢٠٤	ومنها أن يعود مرضاهم	٢٠٦	حقوق الجوار
	ومنها أن يشيع جنائزهم ـ	٢٠٨	حقوق الأقارب والرحم
	ويزور قبورهم	...	حقوق الوالدين والولد

(كتاب العزلة والمخالطة)

٢١٠	فوائد المخالطة هى العلم والتعلم		والاستئناس والايناس
٢١١	والانتفاع بالناس والنفع	٢١٢	ونيل الثواب وإنالته والتواضع
	والتأديب والتأدب		والتجارب

(كتاب آداب السفر)

		صحيفة	
٢١٤	أقسام الاسفار		يقدح فى البدن كالطاعون الخ
...	القسم الاول السفر فى طلب العلم	٢١٦	آداب المسافر من أول نهوضه
٢١٥	القسم الثانى السفر لاجل العبادة		الى آخر رجوعه
...	القسم الثالث أن يكون السفر	٢١٩	مالابد للمسافر من تعلمه من
	للهرب من سبب مشوش للدين		رخص السفر
...	القسم الرابع السفر هربا مما		

(كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

٢٢١	وجوب الامر بالمعروف والنهى		فى إهماله
	عن المنكر وفضيلته والمذمة	٢٢٣	الشروط التى بها يتحقق

صحيفة		صحيفة	
	التصدى للانكار	٢٢٧	منكرات الاسواق
٢٢٤	ومنها أن يكون غير مجتهد فيه	٢٢٨	منكرات الشوارع
...	درجات القيام بالانكار	٢٢٩	منكرات الحمامات
٢٢٥	آداب القائم بالامر والنهى	...	منكرات الضيافة
٢٢٦	المنكرات المألوفة فى العادات	٢٣٠	المنكرات العامة

(كتاب الآداب النبوية والأخلاق المحمدية)

٢٣١	بيان تأديب الله نبيه بالقرآن	٢٣٨	أخلاقه عليه السلام فى اللباس
٢٣٣	بيان جمل من محاسن أخلاقه عليه السلام	٢٣٩	عفوه مع القدرة وإغضاؤه عما كان يكرهه
٢٣٥	بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه	٢٤٠	سخاؤه وجوده عليه السلام
٢٣٧	بيان كلامه وضحكه عليه السلام	٢٤١	شجاعته عليه الصلاة والسلام
...	أخلاقه عليه السلام فى الطعام والشراب	...	تواضعه عليه السلام
		٢٤٢	خلقته الكريمه
		٢٤٢	شذرة من معجزاته عليه السلام

تمت الفهرست